حول تفسير
سورة الكوثر
بقلم
عبد الله سراج الدين
يطلب من مكتبة دار الفلاح
حلب أقيول - أمام جامع أسامة

أيها القارئ الكريم :

اقرأ سورة الفاتحة كلما قرأت في كتاب من كتبي ، واهدِ ثوابها إلى العلامة الشهير ، والعارف الكبير ، حامل لواء الحجة بالكتاب والسنة ، المفسّر والمحدث بالأسانيد المتصلة ، عن أكابر المحدثين - في حلب ودمشق والمغرب وغيرها من البلاد الإسلامية - بإجازات عالية الأسانيد - محفوظة عندي - سيدي وشيخي ووالدي الكريم ، الشيخ محمد نجيب سراج الدين الحسيني ، رحمه الله تعالى ، وجزاه عن المسلمين خيرًا ، إنه هو السميع العليم

آمين

بقلم

عبد الله سراج الدين

مكتبة دار الفلاح
حلب - أتيرل

الطبعة الأولى

١٤١٧هـ - ١٩٩٦م

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وأفضل الصلاة وأكمل التسليم، على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وعلينا معهم بفضلك يا رب العالمين آمين.

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ﴾.

قوله تعالى:

﴿ إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ﴾

افتتح الله تعالى هذه السورة الكريمة بقوله: ﴿ إِنَّآ ﴾ إعلاماً بالعظمة والعزة الإلٰهية، وإعلاناً بالمنة الكبرى على رسوله بالعطية صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً أبداً.

وحُقَّ لرب العالمين أن يتعالى، ويعظم نفسه، ويمجد نفسه، فإنَّ العزة والكبرياء والعظمة هي صفات له ذاتية، لأنه المتصف ـ وحده سبحانه ـ بجميع الكمالات التي لا نهاية لها، على وجه لا يحيط بعلمها إلا هو سبحانه.

فهو سبحانه يُمجد نفسه، ويعظم نفسه؛ ويثني على نفسه؛ وحق له ذلك.

روى الإمام أحمد عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: إنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿ وَمَا قَدَرُوا۟ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦ وَٱلْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ وَٱلسَّمَـٰوَٰتُ مَطْوِيَّـٰتٌۢ بِيَمِينِهِۦ ۚ سُبْحَـٰنَهُۥ وَتَعَـٰلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾ ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول هكذا بيده يحركها، يقبل بها ويدبر: «يمجد الرب نفسه، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم».

فرجف برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المنبر حتى قلنا: ليخرنّ به.

وفي رواية لمسلم: قال ابن عمر رضي الله عنهما: حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أَسَاقِطٌ هو برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي رواية البزار: فقال المنبر هكذا، فجاء وذهب ـ ثلاث مرات[1].

نعم لقد خشع المنبر، وأخذته الخشية من عظمة الله تعالى وجلاله، متأثراً بمواعظ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

كما قال تعالى: ـ في الحجارة ـ ﴿ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَـٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴾.

فالكبرياء والعظمة والعزة، هي صفات ذاتية لله وحده.

---

(١) انظر (تفسير) ابن كثير و(الدر المنثور).

روى مسلم وغيره، عن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما قالا: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يقول الله عز وجل: العزُّ إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبته».

وروى أبو داود وابن ماجه وابن حبان في (صحيحه) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه.وعلى آله وسلم: «قال الله تبارك وتعالى: الكبرياء ردائي، والعظمة إزاري، فمن نازعني واحداً منهما قذفته في النار».

فهو سبحانه يُمجد نفسه، ويعظم نفسه، كما أنّه سبحانه يثني على نفسه، ولا يستطيع أحد من خلق الله تعالى أن يحصي ثناءً عليه، ويحيط بذلك، وهو كما أثنى على نفسه جل وعلا.

جاء في الحديث الذي رواه مسلم وأحمد وغيرهما عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: فَقدت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذات ليلة من الفراش، فالتمسته فوقعت يدي على قدميه ـ وهو في المسجد ـ وهما منصوبتان(١) وهو يقول: «اللهم إنّي أعوذ برضاك من سخطك، وبمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

وعن السيدة عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت: قام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم من الليل فصلى، فأطال السجود حتى ظننت أنّه قد قُبض، قالت: فسمعته يقول في سجوده: «أعوذ برضاك من سخطك، وأعوذ بعفوك من عقابك، وأعوذ بك منك لا أحصي ثناء عليك أنت كما أثنيت على نفسك».

---

(١) أي: قدماه الشريفتين منصوبتان كما هو هيئة القدمين في السجود.

ثم قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أي: بعد فراغه من الصلاة ـ: «أتدرين أيَّ ليلة هذه»؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «هذه ليلة النصف من شعبان، إنَّ الله تعالى يَطَّلع على عباده في ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويُؤخر أهل الحقد كما هم»(١).

أي: فحقدهم على بعضهم يحرمهم خير تلك الليلة ورحمتها.

فالله تعالى هو يثني على نفسه، وحُقَّ له ذلك جل وعلا.

وإنَّ أعظم خلق الله تعالى ثناءً على الله تعالى، وتعظيماً لله تعالى، وتمجيداً له، هو سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إمام الأنبياء والمرسلين، صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

فإن الثناء على الله تعالى والتمجيد له سبحانه، ذلك على حسب العلم بالله تعالى؛ وأسمائه وكمالاته، وإنَّ أعلم الخلق بالله تعالى هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، الذي أعلن ذلك فقال: «أما والله إني لأعلمكم بالله وأشدُّكم له خشية».

ولذلك كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يثني على الله تعالى، ويمجده في جميع أحيانه وأحواله،، وفي صباحه ومسائه، وفي خُطبه ومجالسه، وفي صلواته وتهجداته، صلى الله عليه وعلى آله وسلم،

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه البيهقي من طريق العلاء بن الحارث عن عائشة رضي الله عنها، وقال: هذا مرسل جيد. اهـ

ويأتي بصيغ جامعة لأنواع الثناء والمجد، كما جاء في الأحاديث عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فإنَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أُوتي جوامع الكلم، ولأنَّه ما ينطق عن الهوى إنْ هو إلا وحي يوحىٰ.

قال الله تعالى: ﴿وأنزل الله عليك الكتاب والحكمة﴾ الآية.

فالكتاب هو القرآن الكريم، والحكمة هي السنة النبوية، المشتملة على أقواله وأفعاله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم أعظم من أثنىٰ على الله تعالى من خلق الله تعالى، كما أنّه أعظم الخلق ثناءً على الله تعالى في جميع العوالم الآتية، كما جاء في حديث الشفاعة المتفق عليه، وفيه قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فيأتوني فيقولون: يا محمد أنت رسول الله، وخاتم الأنبياء، وقد غَفر الله لك ما تقدم من ذنبك وما تأخر، اشفع لَنَا إلى ربك، ألا ترى إلى ما نحن فيه.

فأنطلق إلى تحت العرش فأقع ساجداً لربي، ثم يفتح الله عليَّ من محامده، وحسن الثناء عليه؛ شيئاً لم يفتحه على أحد قبلي، ثم يقال: يا محمد ارفع رأسك، وسل تعطه، واشفع تشفع.

فأرفع رأسي فأقول: أمتي يا رب أمتي يا رب أمتي يا رب» إلى تمام الحديث.

وهذه إحدى روايات أحاديث الشفاعة ـ كما في (تيسير الوصول) نقلاً عن الشيخين والترمذي.

فأعظم الخلق ثناء على الله تعالى في جميع العوالم هو سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً، في كل لمحة ونفس

عدد ما وسعه علم الله تعالى العظيم.

ويرحم الله تعالى القائل في دعائه ومُناجاته ربه تعالى:

إلى بابك العالي مددت يد الرجا ومَن جاء ذاك الباب لا يختشي الردىٰ
سألتك يا الله مستشفعاً بمن ضيا وجهه الوضّاء يبرق في الدُّجى

صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم، وعلينا معهم أجمعين.

قوله تعالى:

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَعْطَيْنَٰكَ﴾ فيه دليل على عظمة المُعطي، وهو الله تعالى، وفيه دليل على كرامة المُعطَىٰ وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وفيه دليل على شرف العطية وهي الكوثر، وأن هذه العطية خاصة به صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لم ينلها أَحَدٌ غيره كما دلت عليه الكاف.

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ﴾

قال العلامة القرطبي رحمه الله تعالى: الكوثر فوعل من الكثرة، مثل نوفل من النفل، والجوهر من الجهر، والعرب تسمي كل شيء كثير في العدد والقدر كوثراً. اهـ

فهو صيغة مبالغه يدل على الكثرة.

وقد جاء في الأحاديث عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بيان المراد بالكوثر في الآية الكريمة:

روى مسلم في (صحيحه) عن أنس رضي الله عنه قال: بينا

رسـول الله صلى الله عليـه وعلى آلـه وسلـم في المسجـد إذ أَغْفـى إغفاءة[1]، ثم رفع رأسه ضاحكاً.

فقيل: ما أضحكك يا رسول الله؟

قال: «نزلتْ عليّ سورة آنفاً فقرأ: بسم الله الرحمن الرحيم ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ حتى ختمها».

قال: «أتدرون ما الكوثر»؟

قلنا: الله ورسوله أعلم.

قال: «إنَّه نهر وعدنيه ربي عز وجل، عليه خير كثير».

وفي رواية لمسلم: «إنَّه نهر وعدنيه ربي عز وجل في الجنة، وهو حوض، ترد عليه أمتي يوم القيامة، آنيته عدد نجوم السماء، فَيُخْتَلَج[2] العبد منهم فأقول: ربِّ إنّه من أمتي، فيقول: ما تدري ما أحدث بعدك»[3].

فذلك النهر العظيم هو في الجنة يُسمى كوثراً، عليه خير كثير، لا يعلم قدره إلا الله تعالى، ومن هذا الخير الكثير تتدفق الخيرات والبركات على جميع أهل الجنة، على حسب مراتبهم، ويَفيض عليهم

---

(١) المراد بالإغفاءة هنا الحالة التي كانت تعتريه صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين ينزل عليه الوحي فلا يكلمهم ولا يكلمونه حتى ينقضي الوحي.

(٢) أي: ينتزع ويقتطع عن الوصول إلى الحوض الشريف.

(٣) وروى البخاري نحوه، ورواه أصحاب السنن، والإمام أحمد بهذا اللفظ انظر (تفسير) ابن كثير و(شرح المواهب).

إلى أبد الآبدين على وجه متواصل لا ينقطع أبداً، فهو الكوثر أي: كثير الخير كما تقدم في الحديث.

ويصب من نهر الكوثر ـ الذي هو في الجنة ـ يصب في حوض في الموقف، فيسمى الحوض، وهو الذي تَرِدُ عليه أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما سيتضح لك في الأحاديث الشريفة الآتية:

روى الإمام البخاري في (صحيحه) عن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «بينما أنا أسير في الجنة إذا أنا بنهر، حافتاه قباب الدرِّ المجوّف.

قلت: ما هذا يا جبريل ـ عليه السلام ـ.

قال: هذا الكوثر الذي أعطاك ربك.

فإذا طينه أو طيبه[1] مسك أذفر»[2].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «الكوثر نهر في الجنة، حافتاه من ذهب، ومجراه على الدر والياقوت، تربته أطيب من المسك، وماؤه أحلى من العسل، وأبيض من الثلج»[3].

ولا تنافي هذه الرواية ما قبلها فإنّ الكل صحيح ومحقق الوقوع.

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

---

(١) الشك من الراوي.

(٢) انظر (صحيح) البخاري.

(٣) كما في (ترغيب) المنذري قال: رواه ابن ماجه والترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

«إنَّ ربي تبارك وتعالى استشارني ـ أي: خَيَّرَني ـ في أمتي ماذا يفعل بهم ـ أي: تكريماً لي ـ.

فقلتُ: ما شئتَ يا ربِّ، هم خلقك وعبادك.

فاستشارني الثانية، فقلت له كذلك.

فاستشارني الثالثة، فقلت له كذلك.

فقال تعالى: إنيِّ لن أخزيك في أمتك يا أحمد[1] ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ، وبشرني أَنَّ أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً ليس عليهم حساب، ثم أرسل إليّ: ادع تجب، وسَلْ تُعطَ» صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «ولقد أعطاني من غير فخر[2]: غفر لي ما تقدم من ذنبي وما تأخر، وأنا أمشي حياً صحيحاً[3] ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ **وأعطاني** أن لا تجوع أمتي ولا تُغلب ـ صلى الله عليه وآله وسلم ـ **وأعطاني**: الكوثر نهراً في الجنة، يسيل في حوضي، **وأعطاني**: القوة والنصر[4]، والرعب

---

(١) في نسخة (المسند): «لا أحزنك في أمتك يا محمد»، هذا كما جاء في حديث آخر قال تعالى: «إنا سنرضيك يا محمد في أمتك ولا نسوؤك» الحديث كما سيأتي إن شاء الله تعالى.

(٢) أي: أقول ذلك تحدثاً بنعمة الله تعالى عليَّ، قال تعالى له: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾.

(٣) والمعنى: أَنَّ الله تعالى غفر له صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما تقدم من ذنبه وما تأخر؛ أعطاه ذلك وهو حيٌّ في الدنيا، لا أنه وَعَدَهُ سوف يُعطيه ذلك في الآخرة.

(٤) في نسخة (المسند): «العز والنصر»، ومعنى: لا تجوع أمتي ـ أيَ: =

يسعى بين يدي شهراً، **وأعطاني** أني أول الأنبياء دخولاً الجنة، وطيَّب لي ولأمتي الغنيمة، وأحلَّ لنا كثيراً مما شدَّد على مَنْ كان قَبلنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج.

فلم أجد لي شكراً إلاَّ هذه السجدة»[١].

والمراد بهذه السجدة سجدة الشكر، التي أطالها كما جاء في (مسند) الإمام أحمد عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: غاب عنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فلم يخرج ـ أي: إلى المسجد على عادته ـ.

قال: فلما خرج سجد سجدة فظننا أَنّ نفسه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد قُبضت ـ أي: من طول السجدة ـ، فلما رفع رأسه قال: «إنَّ ربي تبارك وتعالى استشارني» الحديث.

☆ ☆ ☆

= لا يُصيبهم قحط عام.

(١) هكذا أورده في (كنز العمال) وقال: رواه أحمد وابن عساكر، وقد ذكره العلامة الزبيدي في شرحه مختصراً وقال: رواه أحمد وابن عساكر، وذكره ابن كثير في تفسير سورة المائدة عن الإمام أحمد، وسيأتي بقية الكلام على مخرجيه إن شاء الله تعالى.

أوصــاف الحوض الشريف

روى مسلم والترمذي عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قلت يا رسول الله ما آنية الحوض؟

فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «والذي نفسي بيده لآنيته أكثر من عدد نجوم السماء وكواكبها في الليلة المُصحية.

آنية الجنة من شرب منها لم يظمأ آخر ما عليه، يَشخب فيه ميزابان ـ أي: يصب ويسيل في الحوض ميزابان ـ من الجنة ـ أي: من نهر الكوثر الذي هو في الجنة ـ عرضه مثل طوله، ما بين عَمَّان إلى أَيْلة، ماؤه أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل»[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «حوضي مسيرة شهر، ماؤه أبيض من اللبن، وريحه أطيب من المسك، وكيزانه ـ أي: كؤوسه ـ كنجوم السماء، من شرب منه لم يظمأ أبداً».

وفي رواية: «حوضي مسيرة شهر، وزواياه سواء، وماؤه أبيض من الوَرِق[2]».

---

(١) كذا في (جامع الأصول) قال: وليس عند الترمذي: «يشخب فيه ميزابان من الجنة».

(٢) أي: الفضة، قال في (جامع الأصول): أخرجه البخاري ومسلم.

وفي الصحيحين والترمذي عن أنس رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ما بين ناحيتي حوضي كما بين صنعاء والمدينة».

وفي رواية: «مثل ما بين المدينة وعَمَّان».

وفي أخرى قال: «تُرى فيه أباريق الذهب والفضة كعدد نجوم السماء».

وفي أخرى مثله وزاد: «أو أكثر من عدد نجوم السماء».

وفي رواية أخرى: «إنّ حوضي كما بين أيلة وصنعاء اليمن، وإنّ فيه من الأباريق كعدد نجوم السماء»[1].

واختلاف هذه المسافات التي ضَربها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمثلة لعرض حوضه الشريف ـ هذا الاختلاف لإعلام المخاطب بسعة الحوض، فإنّ منهم من يَعرف ما بين أيلة وصنعاء، ومنهم من يعرف مسافات أخرى غير تلك، فضرب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أمثلة لسعة الحوض الشريف، كما جاء في بقية روايات أحاديث الحوض، والقليل من هذه المسافات داخل تحت الكثير، والكثير باقٍ على ظاهره، كما قال الإمام النووي رضي الله عنه: وليس في القليل من هذه منع الكثير، والكثير ثابت على ظاهر الحديث، ولا معارضة والله تعالى أعلم. اهـ.

وقال القاضي عياض رضي الله عنه: وهذا الاختلاف في قدر عرض الحوض ـ ليس مُوجباً للاضطراب ـ أي: في أحاديث

---

(١) انظر (جامع الأصول) وغيره.

الحوض ـ فإنَّه ـ أي: الاختلاف ـ لم يأت في حديث واحد، بل في أحاديث مختلفة الرواية، عن جماعة من الصحابة رضي الله عنهم، سمعوها في مواطن مختلفة، ضرب لها النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كل واحد منها مَثَلاً لبعد أقطار الحوض وسعته، وقَرَّب ذلك من الأفهام لبُعد ما بين البلاد المذكورة؛ لا على التقدير الموضوع للتحديد؛ بل للإعلام بِعِظَم هذه المسافة، فبهذا تُجمع الروايات. اهـ.

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينتظر الواردين على حوضه الشريف من أمته يوم القيامة

روى الشيخان عن جندب بن عبد الله رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «أنا فَرَطكم على الحوض»[1].

وروى الشيخان عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أنا فَرَطكم على الحوض، وليرفعنَّ إلي رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختُلِجوا دوني، فأقول: أي ربِّ أصحابي، فيقال: إنّك لا تدري ما أحدثوا بعدك»[2].

ومعنى اختلجوا أي: أُخذوا من ورائهم بسرعة، ومنعوا من الشرب، وهؤلاء هم المنافقون، والذين ارتدُّوا بعد وفاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وروى الشيخان عن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: خرج رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوماً، وصلى على شُهداء

---

(١) الفَرَط: هو المتقدم على القوم الواردين على الماء ليشربوا، فهو يستقبلهم ويسقيهم.

(٢) انظر (جامع الأصول).

أحد صلاته على الميت، ثم انصرف إلى المنبر فقال: «إنِّي فرط لكم، وأنا شهيد عليكم، وإنِّي والله لأنظر إلى حوضي الآن، وإنِّي قد أعطيت خزائن الأرض، أو مفاتيح خزائن الأرض، وإني والله ما أخاف عليكم أَنْ تشركوا بعدي ولكن أخاف عليكم أن تتنافسوا فيها».

أي: الدنيا وحطامها وأموالها؛ فتهلككم كما أهلكت من قبلكم، كما جاء في حديث آخر.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «والله إني لأنظر إلى حوضي الآن» هذا دليل على أَنَّ الله تعالى أراه العوالم كُلَّها، فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم قائم على منبره الشريف ينظر إلى حوضه في عالم الآخرة، لأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَرى مالا يَرى غيره، كما جاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنِّي أرىٰ مالا ترون، وأسمع مالا تسمعون، أطَّت[1] السماء وحُقَّ لها أَنْ تئطَّ، ما فيها موضع أربع أصابع إلاّ وفيه ملك واضع جبهته لله تعالى ساجداً، والله لو تعلمون ما أعلم: لضحكتم قليلاً، ولبكيتم كثيراً، ولَمَا تلذذتم بالنساء على الفرش، ولخرجتم إلى الصُّعدات تجأرون[2] إلى الله تعالى»[3].

وروى أبو نعيم بإسناده عن حذيفة بن أسيد الغفاري رضي الله

---

(١) الأطط في اللغة هو صوت الشيء الثقيل أو الحمل الثقيل.
(٢) أي: تتضرعون إلى الله تعالى بالدعاء.
(٣) رواه الترمذي وأحمد وغيرهما.

عنه قال: لما صَدَر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن حجة الوداع، قال: «يا أيها الناس: إني فرطكم على الحوض، وإنكم واردون على حوض عرضه ما بين بُصرى وصنعاء، فيه آنية عدد نجوم السماء»[١].

من شرب من الحوض الشريف شَرْبةً لم يظمـأ بعدها أبداً ولم يسودَّ وجهه

عن أبي أمامة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إنَّ الله تعالى وعدني أَنْ يدخل الجنة من أمتي سبعين ألفاً بغير حساب».

ثم قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «قد وعدني ربي سبعين ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً، وزادني ثلاثَ حَثَيات».

قال يزيد بن الأخنس: يا رسول الله فما سعة حوضك يا نبي الله؟

قال: «كما بين عدن إلى عَمّان، وأوسع وأوسع» يشير بيده صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فيه مثعبان[٢] من ذهب وفضة».

---

(١) روى الطبراني في (كتاب السنة) نحوه كما في (شرح الإحياء) للعلامة الزبيدي.

(٢) قال المنذري: المثعب بفتح الميم والعين المهملة جميعاً بينهما ثاء مثلثة وباء موحدة وهو مسيل الماء، .اهـ قلت: وهذان هما الميزابان اللذان يَصبان من نهر الكوثر الذي هو في الجنة.

قال: فماء حوضك يا نبي الله؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أشد بياضاً من اللبن، وأحلى من العسل، وأطيب رائحة من المسك، من شَرِب منه شَربة لم يظمأ بعدها أبداً، ولم يَسودَّ وجهه».

قال في (النهاية): «وثلاث حثيات» هو كناية عن المبالغة في الكثرة.

قال الحافظ المنذري: رواه أحمد ورواته محتج بهم في الصحيح.

قال المنذري: ورواه ابن حبان في (صحيحه) ولفظه:

عن أبي أمامة رضي الله عنه، أَنّ يزيد بن الأخنس رضي الله عنه قال: يا رسول الله ما سعة حوضك؟

قال: «ما بين عدن إلى عَمّان، وإنَّ فيه مثعبين من ذهب وفضة».

قال: فماء حوضك يا نبي الله؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أشد بياضاً من اللبن، وأحلى مذاقه من العسل، وأطيب رائحة من المسك، من شَرب منه لم يظمأ أبداً، ولم يسودّ وجهه أبداً».

اللهم اسقنا من حوضه الشريف؛ وبكفه الشريفة؛ بجاهه عندك وكرامته عليك، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله تعالى العظيم.

سيدنا رسول الله
صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً
يستقبل أمته على الحوض
ويعرفهم بسيماهم من بين الأمم

روى الإمام مسلم وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «تَرِد عليّ أمتي الحوض، وأنا أذود[1] الناس عنه كما يذود الرجل إِبل الرجل عن إبله».

قالوا: يا نبي الله أتعرفنا؟ ـ أي: من بين الأمم ـ.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «نعم، لكم سيما ـ أي: علامة ـ ليست لأحد غيركم، تردون عليّ غرّاً[2] محجّلين[3] من آثار الوضوء، ولتصدّن عني طائفة منكم فلا يَصلون إليَّ ـ أي: بل يُمنعون ـ فأقول يا ربِّ هؤلاء من أصحابي، فيجيبني ملك: وهل تدري ما أحدثوا بعدك»؟

فهذه الأمة المحمدية لها سِيْما ـ أي: علامة ـ يوم القيامة يُعرفون بها، وهي الغُرَّة والتحجيل من آثار الوضوء، الذي كانوا يفعلونه في الدنيا، فإنَّه نَوَّر لهم أعضاء وُضوئهم وجَمَّلهم.

---

(١) أي: أدفع وأمنع عنه من ليس من أمتي.

(٢) جمع أغر أي: على وجوههم نور الوضوء ووضاءته.

(٣) جمع محجَّل ـ أي: على أيديهم إلى ما فوق المرافق؛ وعلى أرجلهم نور الوضوء ووضاءته.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أتى المقبرة فقال: «السلام عليكم دار قوم مؤمنين، وإنَّا إنْ شاء الله بكم لاحقون، وددتُ أنَّا قد رأينا إخواننا»[١].

قالوا: أولسنا إخوانك يا رسول الله؟.

قال: «أنتم أصحابي[٢]، وإخواننا الذين لم يأتوا بعدُ».

قالوا: كيف تعرف من لم يأت بعدُ من أمتك يا رسول الله؟

قال: «أرأيت لو أن رجلاً له خيل غُرٌّ محجَّلة بين ظهرَيْ خيل دُهْم بُهم ألا يعرف خيله»؟.

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «فإنهم يأتون غُراً محجَّلين من الوضوء، وأنا فرطهم على الحوض».

قال الحافظ المنذري: رواه مسلم وغيره.

والدُّهم جمع أدهم وهو الأسود، والدهمة هي السواد، وأما **البُهم** فقيل: السود أيضاً، وقيل: البهم الذي لا يُخالط لونه لوناً سواه، سواء كان أسود، أو أبيض، أو أحمر، فيكون لونه خالصاً.

مسـائل ينبغي الانتباه إليها:

الأولى: قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث المتقدم: «وددتُ أنَّا قد رأينا إخواننا» الحديث، وكذا ما جاء في (مسند)

---

(١) أي: في الحياة الدنيا كما سيأتي.

(٢) ليس هذا نفياً لأخوتهم ولكن ذكر مرتبتهم الزائدة بالصحبة، والمعنى: أنتم إخواني وأصحابي، وأما الذين لم يأتوا بعدُ فإنَّهم إخواني.

الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «وددتُ أني لقيتُ إخواني الذين آمنوا ولم يروني».

ومعنى ذلك أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ودَّ رؤيتهم ولقاءهم والاجتماع بهم في الحياة الدنيا، كرؤيته أصحابه ولقائه واجتماعه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهم، فهذا لا يتنافى مع ما جاء في الأحاديث الصحيحة، أنّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأى أمته كلَّهم حين عُرضوا عليه، بل رأى جميع الأمم قبله حين عرضوا عليه، كما روى الطبراني والضياء المقدسي عن حذيفة بن أُسيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «عُرضتْ عليَّ أمتي البارحة لدى هذه الحجرة، حتى لأنا أَعْرف بالرجل منهم من أحدكم بصاحبه، صُوِّروا لي في الطين»[١].

وعن أبي ذر رضي الله عنه، أَنّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: عُرضت عليَّ أمتي بأعمالها، حسنها وسَيِّئها، فرأيت في سيء أعمالها النخاعة ـ أي: النخامة ـ في المسجد لم تدفن»[٢].

فإياك يا أخي المسلم أن تُلقي وسخاً في المسجد، بل إذا لقيت فيه وسخاً فأزله، فالنظافة النظافة في المساجد.

وقد عُرضت عليه جميع الأمم صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

عن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «عُرضت عليّ الأمم، فرأيت النبي يمرّ ومعه

---

(١) وقد رمز في (الجامع الصغير) إلى صحته.
(٢) قال في (الفتح الكبير): رواه مسلم وأحمد ـ وهذه إحدى روايات هذا الحديث.

الرهط، والنبي يمر ومعه الرجل والرجلان، والنبي ـ أي: يمر ـ وليس معه أحد، إذ رُفع لي سواد ـ أي: جمع ـ عظيم فظننت أَنَّهم أمتي، فقيل لي: هذا موسى وقومه، ولكن انظر إلى الأفق فإذا سواد عظيم فقيل لي: انظر إلى الأفق الآخر فإذا سواد عظيم، فقيل لي: هذه أمتك، ومعهم سبعون ألفاً يدخلون الجنة بغير حساب ولا عذاب، وهم الذين: لا يَرقُون، ولا يسترقون، ولا يتطيرون، ولا يكتوون وعلى ربهم يتوكلون»(١).

وروى الطبراني عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنّ الله تعالى قد رفع لي الدنيا فأنا أنظر إليها؛ وإلى ما هو كائن فيها؛ إلى يوم القيامة كأنما أنظر إلى كفي هذه» صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

بشرى عظيمة

قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث المتقدم: «وددت أنّا قد رأينا إخواننا»، والحديث الآخر قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وددت أنّي لقيت إخواني الذين آمنوا بي ولم يروني».

في هذا بشرى عظيمة لكل مؤمن جاء من بعده صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى يوم القيامة، وذلك أنّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وصفهم بأنهم إخوانه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فما أشرف هذا الوصف، وما أكرمه، حيث جعلهم إخوانه وأضافهم

---

(١) قال في (الفتح الكبير): رواه الشيخان وأحمد.

إليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

اللهم اجعلنا منهم بجاهه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عندك؛ يا ذا الجلال والإكرام.

وإذا كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم ودَّ أن يَرىٰ إخوانه المؤمنين الذين يجيئون من بعده، وودَّ لقاءهم في الدنيا، كما لَقي أصحابه رضي الله عنهم، إذا كان كذلك؛ فالواجب المحتَّم على المؤمنين الذين جاؤوا من بعده أن يودُّوا رؤيته صلى الله عليه وعلى آله وسلم كل الودِّ، وأن يكونوا في أشد الشوق إلى لقائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم إنْ كانوا مؤمنين.

روى مسلم في صحيحه عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من أشد أمتي لي حبّاً: ناس يكونون بعدي يودُّ أحدهم لو رآني بأهله وماله» أي: ولو بتركه لأهله وماله.

الثانية: قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث المتقدم: «وليرفعنَّ إليَّ رجال منكم حتى إذا أهويت إليهم لأناولهم اختُلجوا دوني، فأقول: يا رب أصحابي، فيقال: إنَّك لا تدري ما أحدثوا بعدك».

هذا الحديث لا يتنافى مع حديث عَرض أعمال أمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليه، فإنّ أعمال أمته التي تُعرض عليه هي أعمال المؤمنين من أمته، وقد بَيَّن صلى الله عليه وعلى آله وسلم الحكمة في عرض أعمالهم عليه فقال: «تعرض علي أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله تعالى، وما رأيت من شرٍ استغفرت الله لكم».

أما هؤلاء الذين اختُلِجوا ومنعوا عن الحوض بشدَّة، فهم المنافقون وكذلك المرتدُّون بعد وفاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم فهم كفار.

وأعمال الكفار لا تعرض عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إذ لا فائدة في عرضها، لأنَّ الحكمة في هذا العرض فرحه ومباهاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأعمالهم الصالحة، وحمده لله تعالى، واستغفاره لأعمالهم السيئة.

وحديث عرض أعمال أمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم أورده الحافظ العراقي في شرح التقريب وهذا نصه:

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «حياتي خير لكم تُحدِثون[1] ويُحدَث لكم، ووفاتي خير لكم تعرض عليَّ أعمالكم، فما رأيت من خير حمدت الله، وما رأيت من شر استغفرت الله لكم».

قال الحافظ العراقي: رواه أبو بكر البزار في (مسنده) بإسناد جيد. اهـ.

وقال الحافظ الهيثمي: رجاله رجال الصحيح.

وأورده في (الجامع الصغير) من رواية ابن سعد عن بكر بن عبد الله مرسلاً أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «حياتي خير لكم تُحدِثون ويُحدَث لكم، فإذا أنا مِتُّ، كانت وفاتي

---

(١) والمعنى: تُحدثون أقوالاً وأعمالاً ويُحدث لكم أحكام شرعية فيها بيان ما يجوز وما لا يجوز من الأقوال والأعمال التي تُحدثونها.

خيراً لكم، تُعرض عليَّ أعمالكم، فإنْ رأيت خيراً حمدت الله، وإن رأيت شراً استغفرت لكم»[1].

وعن أنس رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «حياتي خير لكم ومماتي خير لكم»[2].

فالخير منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم متواصل فَيَّاض في جميع العوالم لا ينقطع أبداً.

روى الحاكم في (المستدرك) على شرط مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «أناأبو القاسم، اللهُ يعطي وأنا أقسم»[3].

وروى الطبراني عن معاوية رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إنّما أنا مبلغ والله يهدي، وإنّما أنا قاسم والله يعطي»[4].

وهذا عند المحققين عامٌّ شامل لجميع أنواع الخير في الدنيا والآخرة.

فالله تعالى هو الذي يعطي ذلك، وسيدنا محمد صلى الله عليه

---

(١) وقد رمز الحافظ السيوطي إلى حسنه.

(٢) قال في (الجامع الصغير): رواه الحارث أي: الحارث بن أبي أسامة في (مسنده).

(٣) انظر (الجامع الصغير) و(كنز العمال).

(٤) كما في (الجامع الصغير) قال العلامة المناوي: قال الحافظ الهيثمي: رواه الطبراني بإسنادين أحدهما حسن. اهـ ورمز السيوطي لحسنه.

وعلى آله وسلم هو القاسم ذلك[1].

ورضي الله تعالى عن سيدنا حسان بن ثابت الذي قال وهو يخاطب سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

يا ركنَ معتمِدٍ وعصمة لائذٍ ... وملاذ منتجع وجارَ مجاور
يا من تخيّره[2] الإله لخلقه ... وحباه بالخُلق الذكي الطاهر
أنت النبي وخير عصبة آدم ... يا من يجود كفيض بحرٍ زاخر
ميكالُ معْك وجبرئيل كلاهما ... مدد لنصرك من عزيز قادر

الثالثة: قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لكم سِيما ليست لأحد غيركم، تردون عليَّ غرّاً محجلين من آثار الوضوء».

هذا يدل على فضل الوضوء، وأنَّه عبادة كبقية العبادات التي لها آثارها النورانية في العابد، فالوضوء يُورث المتوضىء الوضاءة وهي: الحسن النوراني والنظافة.

وقد جاء في فضائل الوضوء وأنه يغسل خطايا المتوضىء، ويُزيل آثارها الظلمانية:

روى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إذا توضأ العبد المسلم أو المؤمن فغسل وجهه خرج من وجهه كلُّ خطيئة نظر إليها بعينيه مع الماء أو مع آخر[3] قطر الماء، فإذا غسل يَديه خرج من يديه كل خطيئة كان

---

(١) انظر (فيض القدير).
(٢) أي: تخيَّره الله تعالى لإرساله للخلق كلهم، والمنتجع هو طالب المعروف.
(٣) هذا التردد من الراوي.

بطشتها يداه مع الماء أو مع آخر قطر الماء، فإذا غسل رجليه خرجت كل خطيئة مشتها رجلاه مع الماء أو مع آخر قطر الماء؛ حتى يخرج نَقِيّاً من الذنوب»[1].

فالوضوء يكسو صاحبه حلية ظاهرة وباطنة، حسّاً ومعنى، كما جاء في الحديث الذي رواه مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «تبلغ الحلية من المؤمن حيث يبلغ الوضوء».

فينبغي للمسلم أن يُسبغ الوضوء لتزداد حليته.

وعن سيدنا عثمان بن عفان رضي الله تعالى عنه أنه دعا بماء فتوضأ ثم ضحك، فقال لأصحابه: ألا تسألوني ما أضحكك؟

فقالوا: ما أضحكك يا أمير المؤمنين.

فقال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم توضأ كما توضأت، ثم ضحك، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ألا تسألوني ما أضحكك»؟.

فقالوا: ما أضحكك يا رسول الله؟

فقال: «إنَّ العبد إذا دعا بوَضوء فغسل وجهه حَطَّ الله عنه كل خطيئة أصابَها بوجهه، فإذا غسل ذراعيه كان كذلك، وإذا طَهّر قدميه كان كذلك».

قال الحافظ المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد، وأبو يعلى، قال

(١) قال في (الترغيب): رواه مالك ومسلم والترمذي، وليس عند مالك والترمذي غسل الرجلين. اهـ.

ورواه البزار بإسناد صحيح، وزاد فيه: «فإذا مسح رأسه كان كذلك».

وروى الطبراني في (الكبير) قال أبو أمامة رضي الله عنه: لو لم أسمعه من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلاّ سبع مرات ما حدَّثت به، قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إذا توضأ الرجل كما أُمر ـ أي: كما أمر الله تعالى ـ ذهب الإثم من سمعه وبصره، ويديه ورجليه» قال الحافظ المنذري: وإسناده حسن.

فالوضوء عبادة ينبغي الاهتمام به، بإسباغه وإكماله على وجه السنة.

عن سيدنا عمر بن الخطاب رضي الله عنه، عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ما منكم من أحد يتوضأ فَيُبْلغ أو فَيُسبغ الوضوء ـ أي: يكمله على وجه السنة ـ ثم يقول ـ أي: عقب الوضوء ـ أَشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأَشهد أَنَّ محمداً عبده ورسوله إلاّ فُتِّحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيِّها شاء».

قال الحافظ المنذري: رواه مسلم وأبو داود وابن ماجه وقالا: «فَيُحسن الوضوء»، وزاد أبو داود: «ثم يرفع رأسه إلى السماء ثم يقول: أشهد» إلخ، ورواه الترمذي كأبي داود وزاد ـ بأن يقول بعد الشهادتين:

«اللهم اجعلني من التَّوابين، واجعلني من المتطهرين». اهـ

فاجمع بين ذلك: أن تستقبل القبلة عقب الوضوء، وترفع

طرفك إلى السماء، وتأتي بالشهادتين ثم تقول: «اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين».

وجاء في حديث رواه الطبراني في (الأوسط) ورواته رواة الصحيح: عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من توضأ فقال ـ عقب الوضوء ـ: سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أَن لا إلَه إلاّ أنت، أستغفرك وأتوب إليك، كُتب في رَقٍّ[1]، ثم جُعل في طابع فلم يكسر[2] إلى يوم القيامة»[3].

فأضف هذا الدعاء إلى ما سبق بعد الوضوء، وتختم ذلك بالصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما هو السنة في كل دعاء.

وقد روى أبو الشيخ في (الثواب) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إذا فرغ أحدكم من طهوره ـ أي: وضوئه ـ فليقل: أشهد أن لا إلَه إلا الله، وأنّ محمداً عبده ورسوله، ثم ليصلِّ عليّ، فإذا قال ذلك فتحت له أبواب الرحمة».

ويستحب صلاة ركعتين بعد الوضوء فقد ورد فيهما أجر عظيم:

---

(١) الرّق: ما يكتب فيه.
(٢) قال في (شرح الأذكار): الطابع الخاتم، ومعنى: لم يُكسر لم يتطرق إليه إبطال. اهـ.
(٣) كذا في (ترغيب) المنذري وغيره.

فعن عقبة بن عامر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما من أحد يتوضأ فيحسن الوضوء، ويصلي ركعتين يُقبل بقلبه ووجهه عليهما إلاَّ وجبت له الجنة»[١].

وعن زيد بن خالد الجهني رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من توضأ فأحسن الوضوء، ثم صلى ركعتين لا يسهو فيهما غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٢].

وعن حُمران مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه، أنه رأى عثمان بن عفان رضي الله عنه دعا بوضوء فأفرغ على يديه من إنائه فغسلهما ثلاث مرات، ثم أدخل يمينه في الوَضوء، ثم تمضمض، واستنشق واستنثر، ثم غسل وجهه ثلاثاً، ويديه إلى المرفقين ثلاثاً، ثم مسح برأسه، ثم غسل رجليه ثلاثاً، ثم قال: رأيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتوضأ نحو وضوئي هذا ثم قال: «مَنْ توضأ نحو وضوئي هذا، ثم صلّى ركعتين لا يُحدِّث فيهما نفسه؛ غُفر له ما تقدم من ذنبه»[٣].

فاغتنم هذا الأجر العظيم، ولا تك من المحرومين، واستعن بالله تعالى، وأكثر من الدعاء الوارد عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عقب الصلوات: «اللهم أعني على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك» آمين.

الرابعة: هذه الأمة المحمدية لها سيما ـ أي: علامة يوم القيامة

---

(١) رواه مسلم وأصحاب السنن.

(٢) رواه أبو داود كما في (الترغيب) وغيره.

(٣) قال في (الترغيب): رواه الشيخان وغيرهما.

يُعرفون بها يوم القيامة ـ وهي الغُرَّة والتحجيل، من آثار الوضوء الذي يفعلونه في الدنيا، وهذه العلامة ليست لغيرهم من الأمم.

قال الإمام النووي رضي الله عنه: وقد استدل جماعة من أهل العلم من هذا الحديث ـ أي: قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «تردون عليّ غرّاً محجلين من آثار الوضوء» استدلوا بذلك على أنّ الوضوء من خصائص هذه الأمة زادها الله تعالى شرفاً.

وقال آخرون: ليس الوضوء مختصاً بها، وإنّما الذي اختصت به هذه الأمة المحمدية الغرَّة والتحجيل، واحتجوا بالحديث الآخر ـ أي: قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «هذا وضوئي ووضوء الأنبياء قبلي» الحديث.

قال الإمام النووي: وأجاب الأولون عن هذا بجوابين:

أحدهما: أنه حديث ضعيف معروف بالضعف.

والثاني: لو صح احتمل أن يكون الأنبياء اختصت بالوضوء دون أممهم، سوى هذه الأمة والله أعلم. اهـ كلام الإمام النووي.

المسـألة الخامسة: قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: في حديث مسلم المتقدم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «ترد عليَّ أمتي الحوض وأنا أذود الناس عنه كما يذود الرجل إبل الرجل عن إبله» الحديث.

قال أهل المعرفة: والحكمة في ذَوده صلى الله عليه وعلى آله وسلم بقية الأمم عن حوضه الشريف، هذا فيه إرشاد لكل واحد من سائر الأمم ـ إلى حوض نبيه المستمدِّ من حوض سيدنا محمد النبي الأكرم صلى الله تعالى وسلم عليه وعليهم أجمعين، فيكون هذا

من إنصافه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ورعايته إخوانه النبيين وتكريمه لهم، لا أنه يذودهم عن حوضه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بُخلاً منه، فإنّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أجود بني آدم، بل أكرم خلق الله تعالى أجمعين، وقد أرسله الله تعالى رحمة للعالمين كلهم.

قال العارفون: ويشهد لذلك ما رواه الترمذي عن سمرة بن جندب رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إنَّ لكل نبي حوضاً، وإنَّهم يتباهون أيّهم أكثر واردة، وإنِّي أرجو أنْ أكون أكثرهم واردة».

قال الحافظ: رواه الترمذي وقال: غريب.

وقال: وقد روى الأشعث بن عبد الملك هذا الحديث عن الحسن عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مرسلاً، ولم يذكر فيه عن سمرة بن جندب رضي الله عنه وهو أصح. اهـ.

قال العلامة الزبيدي: قلت: ووصله الطبراني، وأشار الترمذي إلى وصله وصحح إرساله، والمرسل أخرجه ابن أبي الدنيا بسند صحيح عن الحسن رفعه: «إنّ لكل نبي حوضاً، وهو قائم على حوضه، وبيده عصاً يدعو من عرف من أمته، أَلاَ وإنَّهم يتباهون أيُّهم أكثر تبعاً، وإنِّي لأرجو أَنْ أكون أكثرهم تبعاً».

قلت: ولا شك أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكثرهم تبعاً.

قال الإمام الغزالي رضي الله عنه: فهذا رجاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو كثرة أتباعه الواردين على حوضه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال رضي الله عنه: فلْيَرْجُ كل عبد أن يكون في جملة الواردين

وليحذر أن يكون متمنياً ومغترّاً، وهو يظن أنّه راج، فإنَّ الراجيَ للحصاد مَنْ بَذر ونقّىٰ الأرض، وحرثها، وسقاها الماء، ثم جلس يرجو فضل الله تعالى بالإنبات ، ودفع الصواعق إلى أوان الحصاد.

قال رضي الله عنه: فَأمّا مَنْ ترك الحراثة أو الزراعة، وتنقية الأرض وسقيها، وأخذ يرجو ـ بزعمه ـ مِنْ فضل الله تعالى أَنْ يُنبت لَه الحبَّ والفاكهة، فهذا مُغْتَرٌّ وليس من الراجين في شيء. اهـ.

ومعنى ذلك أَنَّ من كان يرجو أن يكون من الواردين على حوض النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فَعليه أَنْ يَتَّبِع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيما جاء به، وليعمل بشريعته صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويبذل جهده في العمل بذلك.

وعلى قدر ورود الإنسان شريعة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وتحققه بها، وعمله بمقتضاها في الدنيا، سوف يكون وروده على حوضه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم القيامة، وذلك لأَنَّ قضايا الآخرة تظهر فيها حقائق ما كان عليه الإنسان في الدنيا: من العقائد والأعمال والأقوال، فمن كان في الدنيا قد أُشْرِب قلبه: الإيمان المحمدي، والشرع المحمدي، أُذن له في الشرب يوم القيامة من حوض النبي صلى الله عليه وسلم مَشرباً روياً سائغاً هنيئاً، لا يظمأ بعده أبداً.

اللهم اجعلنا منهم ـ آمين.

ومن لم يتشرب قلبه الإيمان والشرع المحمدي، فلا نَصيب له من حوضه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كالمنافقين والمرتدين، وقد تقدم في الحديث أنهم يُمنعون من الشرب، ويؤخذ بهم من ورائهم ـ والعياذ بالله تعالى ـ.

واعلم أن جميع حياض الأنبياء هي مستمدة من حوض النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وحوض النبي صلى الله عليه وآله وسلم يمده ويصب فيه من نهر الكوثر الذي هو في الجنة، فحوضه صلى الله عليه وآله وسلم هو الأصل الفيَّاض الممدُّ، وهو أوسع الحياض، وأعظمها، وله الخصائص الكبرى، والأوصاف العظمى التي لا توجد في غيره كما تقدم في صفات حوضه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فتلك صفات خاصة بحوضه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومن هنا تعلم أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو مَصدر جميع الخيرات والرحمات والبركات في جميع العوالم.

المسألة السادسة: ينبغي للمسلم أَنْ يعلم أنَّ أحاديث حوض النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاصَّةً بلغت حدَّ التواتر، فيجب الإيمان به قطعاً، وأما حياض الأنبياء فأحاديثها لم تبلغ حدَّ التواتر بل هي أخبارها آحاد كما تقدم.

جاء في سنن أبي داود أن عبيد الله بن زياد قال لأبي برزه الأسلمي رضي الله عنه: جئتُ إليك لأسألك عن الحوض هل سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَذكر فيه شيئاً؟.

فقال أبو برزة رضي الله عنه: (نعم، لا مرة، ولا مرتين، ولا ثلاثاً، ولا أربعاً، ولا خمساً).

قال: (فمن كذَّب به فلا سقاه الله تعالى منه) الحديث.

وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيراً ما يُحدِّث أصحابه رضي الله عنهم عن حوضه الشريف، وعن أوصافه، وقد جاءت أحاديث حوضه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن جَمع عظيم من الصحابة، في مناسبات متعددة، مِنْ طرق متعددة، ومِنْ أجل ذلك

ذكره ـ أي: حوضه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ ذكره علماء التوحيد في جملة العقائد الإيمانية القطعية.

قال العلامة اللقاني رحمه الله تعالى: ـ في جوهرة التوحيد ـ

إيمـانُنـا بحـوض خير الـرسْـل   حتم كما قد جاءنا في النقل[1]

ينـال شربـاً منـه أقـوام وَفـوا   بعهدهم وقل يُذاد مَنْ طغوا

والمعنى: أنَّ الذين يشربون من حوض النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم دون مانع يمنعهم هم الموفون بعهدهم مع الله تعالى، ومع رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأَمَّا مَنْ بغى وطغى، ورجع القهقري فإنَّهم يُمنعون من الشرب من حوضه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كالمنافقين والمرتدين ـ أعاذنا الله تعالى من ذلك.

وكان ابن أبي مليكة يقول: اللهم إنّا نعوذ بك أن نرجع على أعقابنا، أو نفتن عن ديننا. اهـ آمين.

قوله تعالى:

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَـرْ ﴾

الفاء لترتيب ما بعدها على ما قبلها، والمعنى؛ فدم على صلاتك لربك: المفروضة والنافلة، وأكثر من النوافل شاكراً لربك الذي أفاض عليك ما أفاض، وخصك بأعظم العطايا، وأعمِّها نفعاً، وأجمعها خيراً، فلقد أعطاك الكوثر الذي عليه خير كثير، الفَيَّاض بالخيرات على جميع أهل الجنة ، وأعطاك خير الدنيا والآخرة، فالله تعالى هو المعطي وأنت القاسم صلى الله عليه وآله وسلم، ولا يصل إلى مخلوق خير إلاّ بواسطتك صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

(١) أي: المتواتر.

﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ أي: وانحر الإبل، وتصدَّق بها على المحتاجين.

ونقل العلامة القرطبي عن عطاء وقتادة وعكرمة أن المراد بقوله تعالى: ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ﴾ المراد بذلك صلاة العيد يوم النحر، والمراد بالنحر التضحية وعلى هذا جرى بعض المفسرين، والآية الكريمة هي عامة تشمل جميع ذلك.

وقد جاء في فضل التضحية أحاديث كثيرة أذكر بعضاً منها:

فعن عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما عمل آدمي من عمل يوم النحر أحب إلى الله تعالى من إهراق الدم، إنها ـ أي: الضَحِيَّة ـ لتأتي يوم القيامة: بقرونها وأشعارها وأظلافها ـ أي: فتوضع في ميزان صاحبها كما سيأتي في الحديث ـ وإنَّ الدم ليبلغ من الله تعالى ـ أي: ليبلغ عند الله تعالى ـ بمكان ـ أي: مكان القبول ـ قبل أَنْ يقع على الأرض، فطيبوا بها نفساً».

رواه الترمذي وحسنه، وابن ماجه، والحاكم، ورمز في (الجامع الصغير) إلى حسنه.

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وإنَّ الدم ليبلغ من الله تعالى بمكان» قال العلامة المناوي: أي: بموضع قبول عال.

يعني: يَقبله الله تعالى عند قصد القربة بالذبح قبل أن يقع على الأرض ـ أي: قبل أن يشاهده الحاضرون. اهـ.

أي: يُرفع قبول ذلك.

وعن أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، عن النبي صلى الله

عليه وعلى آله وسلم قال: «يا أيها الناس: ضحّوا واحتسبوا بدمائها ـ أي: واطلبوا الثواب من الله تعالى ـ فإن الدم وإن وقع في الأرض فإِنَّهُ يقع في حرز الله عز وجل».

والمعنى: أَنَّ الله تعالى يحفظه، ويجعله شاهداً لصاحب الضحية يوم القيامة.

وقد روى هذا الحديث الطبراني في (الأوسط) كما في (الترغيب) وغيره.

وعن أبي سعيد رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يافاطمة قومي إلى أضحيتك فاشهديها، فإنَّ لك بأول قطرة تقطر من دمها أن يغفر لك ما سلف من ذنوبك».

قلت يا رسول الله: ألنا خاصة أهل البيت، أو لنا وللمسلمين؟

قال: «بل لنا وللمسلمين».

قال الحافظ المنذري: رواه البزار، وأبو الشيخ ابن حبان في كتاب (الضحايا) وغيره.

قال المنذري: ورواه أبو القاسم الأصبهاني عن سيدنا علي رضي الله عنه ولفظه: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يا فاطمة قومي فاشهدي أُضحيتك؛ فإنَّ لك بأول قطرة تقطر من دمها مغفرة لكل ذنب، أَمَا إِنَّه يُجاء بلحمها ودمها توضع في ميزانك سبعين ضعفاً».

قال أبو سعيد: يا رسول الله هذه لآل محمد خاصة فإنَّهم أهلٌ لما خُصُّوا به من الخير؛ أو للمسلمين عامة؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «هذا لآل محمد خاصة، وللمسلمين عامة».

وذكر المنذري عن بعض مشايخه أنَّه حَسَّنَ هذا الحديث.

قال عبد الله: وقد جاء هذا الحديث من طُرقٍ متعددة، عن عدَّة من الصحابة رضي الله عنهم.

قوله تعالى:

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾

الشانيء: هو المبغض، والأبتر هو: المنقطع.

والمعنى: أَنَّ مبغضك يا رسول الله، ومبغض ما جئتَ به من الهدى، ودين الحق، والبرهان القاطع، والنور الساطع هذا المبغض هو الأبتر المنقطع من كل خير، والمقطوع عنه خير الدنيا والآخرة.

وذلك لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جاء بكل الخير الشامل لخير الدنيا والآخرة، فمن أبغضه فقد انقطع من كل خير، واتَّصل بكل شر في الدنيا والآخرة.

وأما من آمن به وأحبه؛ فقد اتصل بكل خير في الدنيا والآخرة، ونال خير الدنيا والآخرة.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾.

هذه الآية الكريمة تَدل بنصِّها على أَنّ مبغض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منقطع من كل خير، وتدلُّ بمفهومها ولازمها على أَنَّ مُحِبَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو متصل بكل خير في الدنيا والآخرة، ومتصل بكل خَيْرٍ جاء به رسول الله

صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جميع العوالم، فإنَّ الله تعالى جمع لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأعطاه؛ جميع أنواع الخير في الدنيا والآخرة، وفي جميع العوالم، فمن أحبه واتبعه نال نصيبه من ذلك الخير الذي أعطاه الله تعالى لحبيبه الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فإذا كان مبغض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم منقطعاً عن كل خير، فمعنى ذلك أَنّ مُحِبَّهُ صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو متصل بكل خير قطعاً لا ريب في ذلك.

فقوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾

فيه إنذار شديد من الله تعالى، ووعيد شديد لمبغض رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وفيه بشارة عظيمة من الله تعالى، ووعد محتم لمن يحب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وإنّ كل محب لهذا الحبيب الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينال نصيبه من ذلك الخير المحمديِّ الذي أعطاه الله تعالى لحبيبه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كلٌّ على حسب مقامه ومنزلته في الحب لهذا الحبيب الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ومِنْ هنا تعلم أيها المؤمن فضل محبة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وتعلم شرف مقام المحبة.

واعلم أَنّ محبتك لسيدنا رسول الله الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي الدليل الصادق على محبتك لله تبارك وتعالى.

فإنَّ من أحبَّ الله تعالى حقّاً أحب حبيب الله تعالى الأكرم، وهذا هو سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فإنّه أحبُّ الخلق إلى الله تعالى، وأكرمهم عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: جلس ناس من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ينتظرونه فتذاكروا.

فقال بعضهم: عجباً[1] إن الله تعالى اتخذ من خلقه خليلاً فإبراهيم خليله.

فقال آخر: ماذا بأعجب من أنه ـ سبحانه ـ كلَّم موسى تكليماً.

وقال آخر: فعيسى كلمة الله وروحه.

وقال آخر: فآدم اصطفاه الله تعالى.

فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال: «قد سمعتُ كلامكم، إنّ إبراهيم خليل وهو كذلك، وموسى نجيُّ الله وهو كذلك، وعيسى روحه وكلمته وهو كذلك، وآدم اصطفاه الله تعالى وهو كذلك.

ألا وأنا حبيب الله ولا فخر، وأنا حامل لواء الحمد يوم القيامة تحته آدم فمن دونه ولا فخر، وأناأول شافع وأول مشفَّع يوم القيامة ولا فخر، وأنا أول من يحرِّك حلق الجنة ولا فخر، فيفتح الله تعالى فيدخلنيها ومعي فقراء المؤمنين ولا فخر ـ وفي رواية: «فقراء المهاجرين» ـ وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله ولا فخر»[2].

أي: لا أقول ذلك تكبراً وتعاظماً على الناس، بل تحدثاً بنعمة

---

(١) يعني: أَنَّ هذا أمر عظيم وفضل كبير.

(٢) رواه الدارمي والترمذي وأبو نعيم كما في (الخصائص الكبرى) وقد تختلف رواياتهم في الألفاظ وفي التقديم والتأخير.

الله تعالى شاكراً له سبحانه، وحامداً لله تعالى الذي أعطاني هذه الرتبة. اهـ من (شرح المواهب).

وعن جابر رضي الله عنه، أَنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أَوّل شافع وأول مشفَّع ولا فخر»(١).

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحب الخلق إلى الله تعالى، وأكرمهم على الله تعالى، فيجب على المؤمن أن يكون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحبَّ خلق الله تعالى إليه.

روى الترمذي والحاكم عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «أحبُّوا الله تعالى لما يَغذوكم به من نعمه، وأحبوني لحب الله، وأحبوا أهل بيتي لحبي» أي: لحبي إياهم.

ومعنى أحبوني لحب الله: أي: لحب الله إياي فإنه اتخذني حبيبه الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم.

وقد نقل الحافظ القسطلاني في (المواهب اللدنية) عن العارف الكبير والعلامة الشهير سيدي إبراهيم الدسوقي أَنّه قال رضي الله عنه:

ألا يا محبَّ المصطفى زد صَبابَةً وضمِّخ(٢) لسان الذكر منك بطيبه
ولا تعبأنْ بالمبطلين فإنَّما علامة حب الله حب حبيبه

---

(١) رواه البخاري في (تاريخه)، والطبراني في (الأوسط)، والبيهقي وأبو نعيم كما في (الخصائص الكبرى).

(٢) قال الشارح الحافظ الزرقاني: وضمخ ـ بمعجمتين بينهما ميم أي: لطِّخ. اهـ.

صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعلينا معهم أجمعين، في كل وقت وحين، عدد ما وسعه علم الله تعالى ربِّ العالمين ـ آمين.

فالواجب على المؤمن أَن يكون الله ورسوله أحبَّ إليه مما سواهما.

قال الله تعالى:

﴿ قُلْ إِن كَانَ ءَابَآؤُكُمْ وَأَبْنَآؤُكُمْ وَإِخْوَٰنُكُمْ وَأَزْوَٰجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَٰلٌ ٱقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَٰرَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَٰكِنُ تَرْضَوْنَهَآ أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَجِهَادٍ فِى سَبِيلِهِۦ فَتَرَبَّصُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾.

ففي هذه الآية الكريمة ذكر الله تعالى أصناف المحبوبات للإنسان من المخلوقات: الآباء والأبناء، والإخوان، والأزواج، والعشيره، والأموال الكثيرة التي اقترفوها ـ أي: اكتسبوها ـ وتجارة ـ أي: أمتعة كثيرة ـ اشتريتموها للتجارة والربح، ومساكن ترضونها ـ أي: تعجبكم الإقامة فيها لأناقتها وزخرفتها واتقانها، ثم بين سبحانه أنّه إن كان شيء من ذلك أحبَّ إليكم من الله ورسوله، وجهاد في سبيله، فتربَّصوا ـ أي: انتظروا ـ حتى يأتي الله بأمره ـ أي: بعقابه سبحانه لكم عاجلاً أو آجلاً ـ ﴿ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلْفَٰسِقِينَ ﴾ أي: الخارجين عن طاعة الله تعالى وطاعة رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فهذه الآية دليل قاطع على وجوب محبة الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم على وجه أقوى وأعظم من كل محبوب.

جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه، أنّ النبي صلى الله عليه

وعلى آله وسلم قال: «ثلاث من كنَّ فيه وجد بهنّ حلاوة الإيمان: من كان الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، ومن أحب عبداً لا يحبه إلا لله، ومن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يُقذف في النار».

وفي رواية: «ثلاث من كن فيه وجد حلاوة الإيمان وطعمه: أن يكون الله ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأَن يحب في الله ويبغض في الله، وأن توقد نار عظيمة فيقع فيها أحبَّ إليه من أن يُشرك بالله شيئاً».

قال الحافظ المنذري بعد ما أورد هذا الحديث بروايتيه قال: رواه البخاري ومسلم والترمذي والنسائي. اهـ.

قلت: وللحديث روايات أخرى.

وفي هذا الحديث دليل على وجوب محبة الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، على وجه أعظم من محبة ما سواهما، وأنَّ من لم يتحقق بذلك لم يجد حلاوة الإيمان وطعمه، لأن الحديث يقول: «وجد بهنّ حلاوة الإيمان».

وعن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده، وولده، والناس أجمعين» أخرجه الشيخان والنسائي.

وفي رواية أخرى للنسائي رحمه الله تعالى: «حتى أكون أحب إليه من ماله وأهله»[1].

فالإيمان يقتضي ويوجب على الإنسان أن يكون سيدنا رسول

---

(١) كما في (تيسير الوصول).

الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أحبَّ إليه من الوالد والولد، والمال والأهل، والناس أجمعين؛ فهذا كله موجَب الإيمان.

فإنّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم حبيب الله الأكرم، والشفيع الأعظم عند الله تعالى.

ويرحم الله تعالى القائل في مناجاته لربه تعالى:

بالذُّل قد وافيتُ بابك عالماً ... أنَّ التذلل عند بابك ينفع
وجعلت معتمدي عليك توكلاً ... وبسطت كفي سائلاً أتضرَّع
فبحقِّ من أحببته وبعثته ... وأجبت دعوة من به يستشفع

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

اجعل لنا من كل ضيق مخرجاً ... والطف بنا يا من إليه المرجع
ثم الصلاة على النبي وآله ... خير الأنام ومن به يُستشفع

من الإيمان
أن يكون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحب إلى المسلم من نفسه

قال الله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَـٰتُهُمْ ۗ﴾

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم أرحم بالمؤمنين من أنفسهم، وأشدُّ شفقةً عليهم من أنفسهم، وأشد رأفة بهم من أنفسهم، وأشد حرصاً عليهم من أنفسهم، فمن الواجب الإيماني المحتَّم عليهم قطعاً أنْ يكون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: أحبَّ إليهم من أنفسهم، ومقدَّماً على أنفسهم.

فقوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ﴾ بيَّن لهم موقفه

معهم، وأنه أرحم بهم، وأشد رأفةً، وأشد عطفاً وحناناً عليهم من أنفسهم، ومن الآباء والأمهات من باب أولى، وتُبيِّنُ الآية الكريمة الحق الواجب عليهم، وذلك بأن يكون أحبَّ إليهم من أنفسهم؛ كما جاء في الحديث الذي رواه الإمام أحمد، عن عبد الله بن هشام رضي الله عنه وفيه: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من نفسه» الحديث، وروى البخاري نحوه في كتاب الأيمان والنذور.

وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يُعلن بأَوْلويَّتِهِ بالمؤمنين من أنفسهم، فقد روى البخاري عند قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ما من مؤمن إلاَّ وأنا أولى الناس به في الدنيا والآخرة، اقرؤوا إن شئتم: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾ فأيُّما مؤمن ترك مالاً فَلْتَرِثْهُ عصبته مَنْ كانوا، وإن ترك دَيْنا أَوْ ضَياعاً فليأتني فأنا مولاه».

الضَّيَاع: بفتح الضاد: العِيال الفقراء، وهو مصدر في الأصل[1].

وروى الإمام أحمد في قوله تعالى: ﴿ٱلنَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِٱلْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ﴾، روى عن أبي سلمة، عن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: «أنا أولى بكل مؤمن من نفسه، فأيّما رجل مات وترك دينا فإليّ ـ أي: فأنا أُوَفِّي عنه ـ ومَن ترك مالاً فهو لورثته».

---

(١) انظر (النهاية).

فنتيجة الأمر هو كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من والده وولده والناس أجمعين».

وكما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «حتى أكون أحب إلى أحدكم من نفسه».

والمعنى: لا يؤمن أحدكم حتى أكون أحب إليه من خلق الله تعالى أجمعين.

وكيف لا يكون الأمر كذلك، وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحب الخلق إلى الله تعالى، كما أعلن ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في الحديث المتقدم، حيث قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ألا وأنا حبيب الله تعالى ولا فخر، وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله تعالى ولا فخر» الحديث كما تقدم بتمامه.

فهو الذي خَصَّه الله تعالى بمقام حبيب الله الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأنه المقدم على غيره من المحبوبين.

روى البيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «اتَّخَذَ الله إبراهيم خليلاً، وموسى نَجِيّاً، واتخذني حبيباً ثم قال: وعزتي وجلالي لأوثرنّ حبيبي على خليلي ونجيِّي»[1].

ومعنى نجيٍّ الله تعالى أي: ناجاه الله تعالى، كما قال سبحانه: ﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا﴾.

---

(١) كما في (كنز العمال) و(شرح المواهب).

وهو على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم كليم الله تعالى كما قال سبحانه: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكۡلِيمًا﴾.

وجميع هذه المقامات أُعطيها رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم على وجه أكمل، وأعطاه الله تعالى مقاماً خاصاً به فوق تلك المقامات والمراتب كلِّها، وهو أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم حبيب الله تعالى، وإمام النبيين والمرسلين؛ صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

روى الترمذي والإمام أحمد وغيرهما عن سيدنا أُبَيٍّ بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إذا كان يوم القيامة كنت أنا إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحب شفاعتهم غير فخر».

وروى البخاري في (تاريخه) والطبراني في (الأوسط) وأبو نعيم عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما، أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أنا قائد المرسلين ولا فخر، وأنا خاتم النبيين ولا فخر، وأنا أول شافع وأول مشفّع ولا فخر»[1].

وكيف لا يكون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحبَّ الخلق إليهم، وقد هداهم الله تعالى به للإيمان، فنقلهم من الشقاء الأبدي إلى السعادة الأبدية، وأخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الضلال المبين إلى نور الحق المبين، قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهۡدِيٓ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ۝٥٢ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِي لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلۡأُمُورُ ۝٥٣﴾.

---

(١) كما في (الخصائص الكبرى).

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في خطبة خطبها في الأنصار رضي الله عنهم فقال فيها: «يا معشر الأنصار أَلَمْ أَجدكم ضُلاَّلاً فهداكم الله بي، وكنتم متفرقين فألفكم الله بي، وكنتم عالَةً فأغناكم الله بي».

كُلَّما قال شيئاً قالوا: الله ورسوله أَمَنُّ[1].

وقد فتح الله تعالى بسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم الأعين العُميَ، والآذان الصُمَّ، والقلوب الغُلْف - أي: القلوب المغلقة - فَبَصَّرَها وملأها هدىً ونوراً.

روى البخاري عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في التوراة.

فقال: أجل إنَّه لموصوف في التوراة ببعض صفته في القرآن: «يا أيها النبي إنَّا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً، وحِرزاً للأميين،[2] أنت عبدي ورسولي، سَمَّيْتُك المتوكِّل، ليس بفظٍّ ولا غليظ ولا صخَّاب بالأسواق، ولا يدفع بالسيئة السيئة ولكن يعفو ويغفر.

ولن يقبضه الله تعالى حتى يُقيم به المِلَّة العوجاء».

وفي رواية الدارمي: «بأن تشهد أن لا إِلَه إلا الله، ويَفتح به

---

(١) رواه الشيخان عن أنس رضي الله عنه كما في (شرح المواهب).

(٢) قال المحققون: المراد بالأميين هنا: كل من اتبع الرسول النبي الأمي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أعيناً عمياً، وآذاناً صُمّاً، وقلوباً غلفاً»[1].

وقال الله تعالى:

﴿بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ● الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ لِتُخْرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذْنِ رَبِّهِمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿١﴾ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ﴾ الآية.

وقال الله تعالى:

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

ففي هذه الآية الكريمة يذكر مِنَّته الكبرى، ومنته العظمى على المؤمنين؛ إذ بعث فيهم رسولاً من أنفسهم، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، المشهود له بالصدق والأمانة، والعفة والنزاهة، منذ صغر سنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، حتى إنَّ أعداءه من قومه يشهدون له بذلك، ويُسمونه الصادق الأمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ﴾.

في تلاوته صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليهم آياته، وجوه من الحكمة العظيمة، أذكر أطرافاً منها:

---

(١) كما في (التيسير).

الأول: إثبات حَقيَّة وقطعية أنه لا إلّه إلا الله محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

وبيان ذلك: أَنَّ هذا القرآن الكريم الذي جاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم به، يتلوه على الناس، هو معجز، وقد تحدَّى الإنس والجن أن يأتوا بمثله فعجزوا، وسجَّل عجزهم فقال: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ أي: ولو تعاونوا كلهم على ذلك لعجزوا[1].

فجاء رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يتلوه عليهم، إذاً هذا الكلام القرآني كلام مَن؟

لا يمكن أن يكون من كلامه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولا كلام سائر البشر، لأنه معجز للبشر والجن، إذاً ما هو إلاّ كلام ربِّ البشر: الله تعالى رب العالمين، أنزله على سيد البشر، وهو سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ومن وجه آخر أنه صلى عليه وعلى آله وسلم قد نَشأ أُمِّياً لم يتعلم القراءة ولا الكتابة، قال تعالى: ﴿وَمَا كُنتَ تَتْلُوا۟ مِن قَبْلِهِۦ مِن كِتَٰبٍ وَلَا تَخُطُّهُۥ بِيَمِينِكَ ۖ إِذًا لَّٱرْتَابَ ٱلْمُبْطِلُونَ﴾.

حتى إن أعداءه ليعلمون ذلك، فجاء صلى الله عليه وعلى آله وسلم بهذا القرآن يتلو آياته على الناس.

إذاً مَنِ الذي علَّمه القرآن، وعلمه تلاوته وقراءته على وجه

---

(١) وقد تكلمت على بعض وجوه الإعجاز في كتابي (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان).

خاص، لا كقراءة كلام الناس، مثل ﴿الم﴾، و﴿كهيعص﴾، و﴿طسم﴾، ونحو ذلك، نعم الذي علَّمه ذلك هو الرحمن، الذي قال له: ﴿فَإِذَا قَرَأْنَٰهُ فَٱتَّبِعْ قُرْءَانَهُۥ * ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾.

أي: فاقرأه على الوجه الذي قرأناه عليك، بواسطة روح القدس جبريل عليه السلام.

قال تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَتُلَقَّى ٱلْقُرْءَانَ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ عَلِيمٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ * عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ * بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ﴾.

فالله تعالى هو رب العالمين، ولا إله إلا الله، وهذا كلامه المعجز، وسيدنا محمد هو رسول الله حقاً صلى الله عليه وسلم، أرسله الله تعالى، وأنزل عليه هذا القرآن المعجز، وعَلَّمه القرآن، وعَلَّمه البيان عن القرآن كما قال سبحانه: ﴿ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُۥ﴾ وقال له: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿قُل لَّوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا تَلَوْتُهُۥ عَلَيْكُمْ وَلَآ أَدْرَىٰكُم بِهِۦ ۖ فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرًا مِّن قَبْلِهِۦٓ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾.

والمعنى: أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد لبث أربعين سنة قبل النبوة لم يأتهم بآية، وقد نشأ أمياً صلى الله عليه وسلم، ثم على تمام الأربعين جاء بهذا القرآن المعجز، ففكِّروا واعقِلوا، إذاً مَنِ الذي علَّمه وهو أميٌّ؟ ومَنِ الذي أنزل هذا القرآن المعجز عليه وفيه تبيان لكل شيء؟ نعم الله ربُّ العالمين، أنزله عليه وأنبأه، وأرسله إلى كافَّةِ العالمين صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال تعالى: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى

لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَـٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴾ .

الوجه الثاني: أَنَّ تلاوته صلى الله عليه وعلى آله وسلم آيات القرآن على الناس فيها إيصال الروح القرآني، والنور القرآني إلى الروح الإنساني والقلب الإنساني، وذلك لأنَّ القرآن فيه الروح والنور والهدى.

قال الله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَـٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَـٰنُ وَلَـٰكِن جَعَلْنَـٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ صِرَٰطِ ٱللَّهِ ٱلَّذِى لَهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ أَلَآ إِلَى ٱللَّهِ تَصِيرُ ٱلْأُمُورُ ﴾ .

ومن المعلوم أنَّ مِنْ شأن الروح أن تكون فيها الحياة، فالروح الإنساني تحيا به الأجسام الإنسانية، والروح القرآني تحيا به القلوب والأرواح، وبتلاوته يمر هذا الروح القرآني على القلوب، فتتأثر به، وتعرف أنَّه الحق، وأنه كلام رب العالمين: فهناك من يؤمن لأنه عرف الحق فاعترف به، وتقبَّله وأذعن إليه، وهناك من يعرف أنه الحق من عند الله تعالى، والذي جاء به هو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولكنه يجحد وينكر ولا يعترف، تكبُّراً وعناداً، كما قال تعالى: ﴿ فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَـٰكِنَّ ٱلظَّـٰلِمِينَ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ ﴾ .

والجحود هو الإنكار بعد العلم بحقيَّة الأمر، وهذا شأن الكفار كما أخبر الله تعالى عنهم.

قال تعالى: ﴿ وَلَوْ نَزَّلْنَـٰهُ ﴾ أي: هذا القرآن ﴿ عَلَىٰ بَعْضِ ٱلْأَعْجَمِينَ ﴾

﴿فَقَرَأَهُۥ عَلَيۡهِم مَّا كَانُواْ بِهِۦ مُؤۡمِنِينَ كَذَٰلِكَ سَلَكۡنَٰهُ فِي قُلُوبِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِهِۦ حَتَّىٰ يَرَوُاْ ٱلۡعَذَابَ ٱلۡأَلِيمَ﴾ .

يقال: سلكت الخيط في الإبرة إذا أدخلته.

والمعنى: أدخلنا القرآن حين سمعوه من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أدخلناه في قلوب المجرمين، فعرفوا أنه حقاً كلام الله تعالى، وعرفوا فصاحته وبلاغته، وأنَّه ليس من كلام البشر، بل هو معجز للبشر وغيرهم، ولكنهم مع ذلك كله لا يؤمنون به؛ عناداً وكبراً، وجحوداً للحق بعد أن علموا أنه الحق، فهم مجرمون لا يؤمنون به حتى يروا العذاب الأليم.

ولما جاء الوليد بن المغيرة وكان من كبار كفار قريش، جاء إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقرأ عليه القرآن؛ رَقَّ له، فلما خرج سألوه عما سمع، فقال: يا عجباً لما يقوله، فوالله ما هو بشعر ولا بسحر، وإنَّ قوله ـ أي: قول محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم الذي سمعه منه وهو القرآن ـ وإن قوله لمن كلام الله.

وقال الوليد: والله إنّ لِقوله الذي يقول ـ أي: القرآن ـ لحلاوة، وإنَّ عليه لطلاوة، وإنَّ أعلاه لمثمر، وإنّ أسفله لمغدق، وإنه الحق يعلو ولا يُعلَى عليه، وإنه ليحطم ما تحته.

ثم إن الوليد[1] بن المغيرة لعبت به شياطين الإنس كأبي جهل

---

(١) وهذه القصة عن الوليد بن المغيرة رواها الحاكم وصححها، والبيهقي في (الدلائل) من طريق عكرمة عن ابن عباس رضي الله عنه، ورواها ابن جرير وابن مردويه، والإمام البغوي، وأصحاب السير ـ والروايات متعددة.

وأمثاله، فرجع عمّا قال، وجحد وأنكر، وأدبر واستكبر، فقال: إن هذا إلاّ سحر يُؤثر، إن هذا إلا قول البشر، كما أخبر الله تعالى عنه بقوله: ﴿ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا﴾ إلى قوله تعالى: ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ وَاسْتَكْبَرَ فَقَالَ إِنْ هَٰذَا إِلَّا سِحْرٌ يُؤْثَرُ إِنْ هَٰذَا إِلَّا قَوْلُ الْبَشَرِ سَأُصْلِيهِ سَقَرَ وَمَا أَدْرَاكَ مَا سَقَرُ لَا تُبْقِي وَلَا تَذَرُ لَوَّاحَةٌ لِّلْبَشَرِ عَلَيْهَا تِسْعَةَ عَشَرَ﴾.

وهكذا كانوا إذا سمعوا القرآن رقَّت له قلوبهم، وعرفوا أنه ليس كلام البشر، بل كلام رب البشر، وعرفوا أنَّه الحق، فمنهم من يؤمن ويهتدي، ومنهم من يجحد وينكر؛ عناداً وكبراً بعد ما عرف أنه كلام الله تعالى حقاً، أنزله على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فالقرآن الكريم له فعَّاليته وتأثيره.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ الْبَلْدَةِ الَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُ كُلُّ شَيْءٍ ۖ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ وَأَنْ أَتْلُوَ الْقُرْآنَ ۖ فَمَنِ اهْتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ ۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلْ إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾.

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ ۚ﴾ الآية.

أي: لأن القرآن الكريم له رُوح وتأثير في قلب السامع.

وقال تعالى: ﴿فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا ۚ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

فما أعظم هذا الروح القرآني وما أقوى نوره.

روى البخاري وغيره، عن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقرأ في

المغرب بالطور فلما بلغ هذه الآية: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ﴾ الآيات قال: كاد قلبي أن يطير، وكان ذلك سبب إسلامه.

وفي رواية مالك بإسناده، عن جبير بن مطعم عن أبيه رضي الله عنه قال: (سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقرأ في المغرب: ﴿وَٱلطُّورِ﴾ فما سمعت أحداً أحسن صوتاً أو قراءة منه)[١] صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقد ذكرت جملة من الشواهد الواقعة في كتاب (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان) فارجع إليها.

اللهم بديع السموات والأرض، ذا الجلال والإكرام، والعزة التي لا تُرام، نسألك ياألله يا رحمن، بجلالك، ونور وجهك، أن تُنوِّر بكتابك أبصارنا، وأن تطلق به ألسنتنا، وأن تفرج به عن قلوبنا، وأن تشرح به صدورنا، وأن تستعمل به أبداننا، فإنه لا يُعيننا على الحق غيرك، ولا يؤتيناه إلاّ أنت، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلوبنا، ونور صدورنا، ونور أبصارنا، وجلاء حزننا، وذهاب همِّنا وغمنا ـ آمين.

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما.

الوجه الثالث: إن في تلاوته صلى الله عليه وعلى آله وسلم آيات القرآن الكريم على الناس تبليغ ما أُنزل عليه من ربه، وتعليماً لهم

---

(١) قال ابن كثير: أخرجاه من طريق مالك.

كيف يتلونه، قال الله تعالى: ﴿وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا﴾.

وذلك بأن يقرؤوه على الوجه الذي سمعوه منه، وتلقوه عنه، لأن للقرآن الكريم منهجاً خاصاً، وأسلوباً فريداً في تلاوته، وترتيله، وتجويد قراءته، وفي مدوده ووجوه قراءاته، فإنّ جميع ذلك موقوف على التلقي عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والسماع منه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد قرأه الصحابة رضي الله عنهم كما سمعوه من النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم إنّهم تلوه على التابعين كما تلاه عليهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ثم إنّ التابعين تلوه على أتباع التابعين كما تلاه عليهم الصحابة، وهكذا تتابع التلقي والتلاوة للقرآن الكريم، جِيْلاً بعد جِيل إلى يومنا هذا، وسوف يتتابع ويتتابع هذا التلقي لتلاوة القرآن الكريم على مدى الزمان، بواسطة العلماء والقراء إلى أن تقوم الساعة؛ لا ينقطعون.

قال الله تعالى: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

فالله تعالى الذي أنزله على رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هو الذي تكفَّل بحفظه إلى قيام الساعة، كما فصَّلتُ ذلك في كتابي (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان) مع الأدلة على ذلك والبراهين القاطعة.

الوجه الرابع: إن في تلاوته صلى الله عليه وعلى آله وسلم لآيات القرآن الكريم، عرضاً لذكر آيات الله تعالى التكوينية: النفسية والآفاقية، السماوية والأرضية، الدالة على وجود الله تعالى، ووحدانيته، وقد جاء ذكر ذلك في مواضع كثيرة من القرآن

الكريم، وقد يقرن الله تعالى ذكرهما في كثير من الآيات القرآنية، ومن ذلك قوله تعالى:

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴿١٢﴾ ثُمَّ جَعَلْنَٰهُ نُطْفَةً فِى قَرَارٍ مَّكِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا ٱلنُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا ٱلْعَلَقَةَ مُضْغَةً فَخَلَقْنَا ٱلْمُضْغَةَ عِظَٰمًا فَكَسَوْنَا ٱلْعِظَٰمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنشَأْنَٰهُ خَلْقًا ءَاخَرَ ۚ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ أَحْسَنُ ٱلْخَٰلِقِينَ ﴿١٤﴾ ثُمَّ إِنَّكُم بَعْدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ تُبْعَثُونَ ﴾ فذكر سبحانه آياته التكوينية الظاهرة في خلق الإنسان، وأطوار خلقه التي تمر عليه، ثم ذكر بعد ذلك أصنافاً من الآيات الآفاقية التكوينية فقال سبحانه: ﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا فَوْقَكُمْ سَبْعَ طَرَآئِقَ وَمَا كُنَّا عَنِ ٱلْخَلْقِ غَٰفِلِينَ ﴿١٧﴾ وَأَنزَلْنَا مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءًۢ بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّٰهُ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ وَإِنَّا عَلَىٰ ذَهَابٍۭ بِهِۦ لَقَٰدِرُونَ ﴿١٨﴾ فَأَنشَأْنَا لَكُم بِهِۦ جَنَّٰتٍ مِّن نَّخِيلٍ وَأَعْنَٰبٍ لَّكُمْ فِيهَا فَوَٰكِهُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿١٩﴾ وَشَجَرَةً تَخْرُجُ مِن طُورِ سَيْنَآءَ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهْنِ وَصِبْغٍ لِّلْءَاكِلِينَ ﴿٢٠﴾ وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهَا وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ كَثِيرَةٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٢١﴾ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾.

فذكر سبحانه الآيات التكوينية النفسية، ثم الآفاقية، وكلها دالة على وجوب وجوده ووحدانيته، وكمال صفاته سبحانه.

وقد ذكر الله تعالى في القرآن الكريم كثيراً من آياته التكوينية في مواضع متعددة، وكلها حجج وأدلة قاطعة على أنه لا إله إلا الله رب العالمين، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَٱلشَّمْسِ وَضُحَىٰهَا ﴿١﴾ وَٱلْقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا ﴿٢﴾ وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا ﴿٣﴾ وَٱلَّيْلِ إِذَا يَغْشَىٰهَا ﴿٤﴾ وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا ﴿٥﴾ وَٱلْأَرْضِ وَمَا طَحَىٰهَا ﴾، فذكر جملة من الآيات الآفاقية، ثم ذكر جملة من الآيات النفسية فقال سبحانه: ﴿ وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّىٰهَا ﴿٧﴾ فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَىٰهَا ﴿٨﴾ قَدْ

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّىٰهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا﴾.

ومن ذلك قول الله تعالى: ﴿وَالسَّمَاءِ وَالطَّارِقِ ﴿١﴾ وَمَا أَدْرَاكَ مَا الطَّارِقُ ﴿٢﴾ النَّجْمُ الثَّاقِبُ ﴿٣﴾ إِن كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ ﴿٤﴾ فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ ﴿٥﴾ خُلِقَ مِن مَّاءٍ دَافِقٍ ﴿٦﴾ يَخْرُجُ مِن بَيْنِ الصُّلْبِ وَالتَّرَائِبِ ﴿٧﴾ إِنَّهُ عَلَىٰ رَجْعِهِ لَقَادِرٌ﴾.

فذكر سبحانه السماء ليتفكروا بما فيها من الآيات الدالة على عظمة قدرة الله تعالى، ثم ذكر النجم الثاقب الذي يطرق عالم الدنيا ليلاً، والمراد جنس النجوم فإنَّها تثقب ظلام الليل بنورها، ويراها الناس عياناً مع أبعادها الشاسعة، وسعة أجرامها، فإنّ منها قدر مسافة الأرض، ومنها ما هو أكبر بكثير وبأضعاف، مع كثرتها، وإيقاع كل نجم في موقعه، وجريانها في أفلاكها المعينة لها.

قال تعالى: ﴿فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَّوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ﴾.

ثم ذكر سبحانه الآيات التكوينية النفسية فقال تعالى: ﴿فَلْيَنظُرِ الْإِنسَانُ مِمَّ خُلِقَ﴾ الآيات.

وفي هذا كله أدلة قاطعة، وبراهين ساطعة مشهودة بالعيان، تدل على وجود الله تعالى، ووحدانيته، وكمال أسمائه وصفاته، قال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾.

الوجه الخامس: إن في تلاوته صلى الله عليه وعلى آله وسلم آيات القرآن الكريم: إعلاناً وإعلاماً بمجامع ما فيه صلاح العالم، وفلاحه ونجاحه، فإذا سمعها العاقل وفكّر فيها أيقن أنَّ هذا ليس من كلام المخلوقين؛ بل هو كلام رب العالمين، أنزله على إمام الأنبياء

والمرسلين سيدنا محمد صلوات ربي وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

روى الحافظ أبو يعلى في كتاب (معرفة الصحابة) بإسناده المتصل أنّ أكثم بن صيفي لما بلغه مخرج النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أراد أن يأتيه فأبىٰ قومه أن يدعوه ـ يتركوه ـ وقالوا: أنت كبيرنا لم تكن لتخفّ إليه.

قال: فليأته من يُبلِّغه عني ويبلغني عنه.

فانتدب رجلان ـ وروي أنهما ولداه ـ فأتيا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقالا: نحن رسل أكثم بن صيفي، وهو يسألك مَنْ أنتَ، وما أنت ـ وفي رواية: وبم جئت؟.

فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أمّا مَن أنا: فأنا محمد بن عبد الله، وأما ما أنا: فأنا عبد الله ورسوله جئتكم بقول الله تعالى: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ وَٱلْإِحْسَـٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ وَٱلْبَغْىِ ۚ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾.

فقالا: ردِّد علينا هذا القول.

فردّده عليهم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى حفظوه.

فأتيا أكثم بن صيفي فقالا: أبىٰ أن يرفع نسبه، فسألنا عن نسبه فوجدناه زاكي النسب، وَسَطاً[1] في مُضر ـ أي: أشرفهم وأمجدهم ـ وقد رمى إلينا بكلماتٍ قد سمعناها منه.

---

(١) يقال في اللغة: قريش أوسط العرب نسباً وداراً، أي: خيرها، وكان النبي صلى الله عليه وآله وسلم وسطاً في قومه أي: أشرفهم نسباً. اهـ من (تفسير) ابن كثير.

فلما سمعهنّ أكثم قال: إني أَراه يأمر بمكارم الأخلاق، وينهى عن ملائمها، فكونوا في هذا الأمر رؤوساً أي: أسرعوا إلى الدخول في دين هذا الرسول، ـ تكونوا رؤوساً وقادة ـ ولا تكونوا فيه أذناباً.

ولقد كان أكثم من الأذكياء الفطناء، فلما سمع هذه الآية الكريمة أشرق قلبه بأنوار حِكَمِها، واستضاء عقله بمجامع خيرها، وما فيها من مجامع المحاسن والمكارم التي انطوت فيها، فأسلم وأسلم قومه، فكان ممن قال فيهم سبحانه في آخر الآية: ﴿لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾.

وقد ذكرتُ جملة من الذين أسلموا لما سمعوا هذه الآية الكريمة، ذكرت ذلك في كتاب (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان) كما أَنِّي تكلمت حول هذه الآية الكريمة كلاماً مفصلاً في ذلك الكتاب فارجع إليه ينفعك الله تعالى به.

فهذه الوجوه التي ذكرتها هي بعض وجوه الحكم في تلاوته صلى الله عليه وعلى آله وسلم آيات القرآن على الناس، كما أخبرنا الله تعالى بقوله في الآية المتقدمة وهي: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا۟ مِن قَبْلُ لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾.

وقال تعالى: ﴿كَمَآ أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا۟ تَعْلَمُونَ ﴿١٥١﴾ فَٱذْكُرُونِىٓ أَذْكُرْكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لِى وَلَا تَكْفُرُونِ﴾.

وفي هذا بيان منته الكبرى سبحانه وتعالى، ونعمته العظمى على العالم.

والكلام على هذه الآية الكريمة واسع جداً، يحتاج إلى مصنف كبير خاص بها.

والآن أعود إلى بيان بعض الأسباب الموجبة لمحبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فوق كل محبوب؛ من خلق الله تعالى أجمعين فأقول عطفاً على ما تقدم:

وكيف لا يكون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أحبَّ خلق الله تعالى إلى الإنسان وقد قال الله تعالى فيه: ﴿لَقَدْ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾.

لقد جاءكم رسول من أنفسكم، معلوم بنسبه وحسبه، وصفته وصدقه، وأمانته وعفّته ونزاهته، وذكائه وفطانته، ما جربتم عليه إلا الصدق والأمانة صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

كما قال سيدنا جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه لما دخل على النجاشي ملك الحبشة قال له: (إنَّ الله تعالى بعث فينا رسولاً منا، نعرف نسبه وصفته، ومدخله ومخرجه، وصدقه وأمانته) إلى تمام الحديث.

﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾:

يقال في اللغة: عزّ عليه الأمر أي: صعب عليه وشق.

كما قيل:

يا مَنْ يعزُّ علينا أن نفارقهم   وجداننا كل شيء بعدكم عدمُ

والعَنَت هو: ما يكرهه الإنسان ويشق عليه.

والمعنى: أنَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعز عليه ـ أي: يصعب عليه ـ الشيء الذي يُعنت أمته، ويشق عليها، ولذا جاء صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما فيه صلاحهم ونجاحهم، وجاء بكل ما فيه الخير لهم في الدنيا والآخرة، وبما فيه سعادة الدنيا والآخرة.

قوله تعالى: ﴿حَرِيصٌ عَلَيْكُم﴾:

والمعنى أنَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم حريص على هدايته للناس، وإيمانهم بما جاء به، وهو حريص صلى الله عليه وعلى آله وسلم على أن يوصل إليهم كل خير في دنياهم وآخرتهم، وعلى أَنْ يُباعدهم عما هو شر لهم في دنياهم وآخرتهم؛ ولذلك كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يحزن إذا دعا أُناساً فلم يستجيبوا للإيمان بعدما يُبيِّنُ لهم، ويأتيهم بالبينات، فكانت الآيات الكريمة تنزل عليه لِتُسَليه، وتذهب عنه حزنه:

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِى ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿أَفَمَن زُيِّنَ لَهُۥ سُوٓءُ عَمَلِهِۦ فَرَءَاهُ حَسَنًا فَإِنَّ ٱللَّهَ يُضِلُّ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِى مَن يَشَآءُ فَلَا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَٰتٍ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِمَا يَصْنَعُونَ﴾.

وقال تعالى: ﴿لَعَلَّكَ بَٰخِعٌ نَّفْسَكَ﴾ أي: مهلك نفسك ﴿أَلَّا يَكُونُوا۟ مُؤْمِنِينَ ۝٣ إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ءَايَةً فَظَلَّتْ أَعْنَٰقُهُمْ لَهَا خَٰضِعِينَ ۝٤﴾.

وقال تعالى: ﴿ فَلَعَلَّكَ بَٰخِعٞ نَّفۡسَكَ عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِمۡ إِن لَّمۡ يُؤۡمِنُواْ بِهَٰذَا ٱلۡحَدِيثِ أَسَفًا ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ أَكۡثَرُ ٱلنَّاسِ وَلَوۡ حَرَصۡتَ بِمُؤۡمِنِينَ ﴾.

وقد جاءت آيات كثيرة بهذا المعنى، وهذا كله يدل على حرصه الشديد صلى الله عليه وعلى آله وسلم على هداية العالم وإيمانهم، ليخرجهم من الظلمات إلى النور، ومن الشقاء إلى السعادة الأبدية.

وقد ضَرَب مثلاً لشدة حرصه صلى الله عليه وعلى آله وسلم على هداية الناس، وإيمانهم بما جاءهم به؛ لينقذهم من عذاب الله تعالى:

فقال: كما جاء عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنَّ مثلي ومثل ما بعثني الله به كمثل رجل أتى قومه فقال: إني رأيتُ الجيش بعينيَّ، وأنا النذير العُريان؛ فالنجاء [(١)] النجاء» ـ أي: اطلبوا النجاء، وانجوا وأسرعوا.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فأطاعه طائفة من قومه فأدلجوا، وانطلقوا على مهلهم فنجوا، وكذبت طائفة منهم فأصبحوا

---

(١) والمعنى: أنه قال لهم: إني رأيت جيش أعدائكم مُتوجهاً إليكم، يريد أن يباغتكم صباحاً، فأنا لكم النذير العريان، فانجوا بأنفسكم، وانطلقوا على مهلكم؛ والنذير العريان أصله أنَّ الرجل إذا أراد إنذار قومه وإعلامهم بما يُوجب المخافة من عدوهم نزع رداءه عن ظهره، وأشار به إليهم؛ إذا كان بعيداً منهم، ليخبرهم بما يباغتهم ويداهمهم؛ ليأخذوا حذرهم.

مكانهم فَصَبَّحهم الجيش فأهلكهم واجتاحهم[١].

فذلك مثل من أطاعني واتبع ما جئت به، ومثل من عصاني وكذّب بما جئت به من الحق»[٢].

وإنَّما كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم حريصاً على هداية الناس، وإيمانهم بما جاءهم به، واتباعهم له، ذلك لأنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم جاءهم بما فيه سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، وبما فيه خير الدنيا وخير الآخرة، وبما فيه نجاح الدنيا ونجاح الآخرة، كما يَدُلُّك على ذلك الحديث الآتي:

روى الإمام أحمد رضي الله عنه، عن ابن عباس رضي الله عنهما: «أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أتاه ملكان فيما يَرى النائم، فقعد أحدهما عند رجليه والآخر عند رأسه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقال الذي عند رجليه للذي عند رأسه: اضرب مثل هذا ومثل أمته.

فقال: إنّ مثله ومثل أمته كمثل قوم سَفر ـ مسافرين ـ انتهوا إلى رأس مفازة[٣]، ولم يكن معهم من الزاد ما يقطعون به المفازة، ولا ما يرجعون به، فبينما هم كذلك إذ أتاهم رجل في حُلَّة حَبرة ـ أي: حسن الثياب والسمت ـ فقال لهم: أرأيتم إنْ وَردتُ بكم

---

(١) أي: استأصلهم.
(٢) كذا في (التيسير).
(٣) المفازة في الأصل: هي الصحراء الدوية المهلكة لمن انقطع فيها، ثم أطلق عليها المفازة تفاؤلاً بسلامة سالكها.

رياضاً مُعْشبة، وحياضاً رواءً تتبعوني؟

فقالوا: نعم.

قال: فانطلق معهم، فأوردهم رياضاً معشبة، وحياضاً رواءً، فأكلوا وشربوا وسمنوا ـ أي: فأخرجهم من تلك المجاعة والعطش الذي كانوا فيه ـ.

فقال لهم: ألم أُلفكم ـ أي: ألقكم ـ على تلك الحال فجعلتم إليّ إن مررتُ بكم رياضاً معشبة وحياضاً أن تتبعوني؟

فقالوا: بلى.

فقال: إنَّ بين أيديكم رياضاً هي أعشب من هذه، وحياضاً هي أروى من هذه فاتبعوني.

فقالت طائفة: صدق والله لنتبعنَّه، وقالت طائفة: قد رَضينا بهذا نقيم عليه».

فليعلم العاقل أَنَّ سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جاء بما فيه سعادة الدنيا وسعادة الآخرة، وبَيَّن كلَّ ما يقرب من الجنة، وكل ما يباعد من النار، وبين جميع ما فيه خير الدنيا والآخرة.

روى الطبراني بإسناد رجاله رجال الصحيح، عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: (لقد تَرَكنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ وما في السماء طائر يطير بجناحيه إلاَّ ذكر لنا منه علماً).

قال: وقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فما بقي شيء يقرب من الجنة، ويباعد من النار إلاّ وقد بُيِّن لكم» ـ أي: بينه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بياناً واضحاً ـ.

وروى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه قال: (لقد تَرَكَنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وما يحرك طائر جناحيه في السماء إلا ذكر لنا منه علماً).

وفي هذا دليل على أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ذكر لهم جميع العوالم العلوية والسفلية، والمرئية والغيبية، حتى ذكر لهم عالم الطير، وذكر لهم منه علماً، فهل يتصور العاقل بعد ذلك أن يكون رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قد أهمل بيان ناحية إصلاحية من نواحي المصالح البشرية، وترك ذكرها!؟..

بل الحق الذي لا ريب فيه أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بَيَّن جميع النواحي الإصلاحية، وطرق السعادات البشرية في دنياها وآخرتها، على أكمل الوجوه ـ يعلم ذلك كل من عقل وتبصر، وتفكر فيما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم.

قوله تعالى: ﴿ بِٱلْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً دائماً أبداً.

الرأفة: هي دفع ما فيه عذاب، أو إيلام، أو شدة، أو مشقة.

قال الله تعالى ﴿ ٱلزَّانِيَةُ وَٱلزَّانِي فَٱجْلِدُوا۟ كُلَّ وَٰحِدٍ مِّنْهُمَا مِا۟ئَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ ٱللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَآئِفَةٌ مِّنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴾.

فنهى سبحانه عن الرأفة بهما وذلك بأن يدفع عنهما العذاب بالجلد، والإيلام به، فجيء بذكر الرأفة؛ وإنَّما نهى سبحانه عن الرأفة بهما لأنهما ليسا موضع الرأفة، فإنّ في جَلدهما إصلاحهما؛

وإصلاح المجتمع العام.. إلخ، وتفصيل الكلام على ذلك ليس موضعه هنا.

وأما الرحمة: فهي إيصال الخير والنفع والبرِّ، وكثيراً ما يَقرن بين ذكرهما، وكثيراً ما يقدم ذكر الرأفة على ذكر الرحمة ـ من باب التخلية ثم التحلية.

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم، له رأفة خاصة، ورحمة خاصة بالمؤمنين فوق رحمته العامة للعالمين التي قال الله تعالى فيها: ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَـٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَـٰلَمِينَ﴾.

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم رحمة عامة للعالمين كلهم: مؤمنهم وكافرهم، وبرِّهم وفاجرهم، وإنسهم وجنهم، وسائر العالمين ـ كما بيّنت ذلك في كتاب: (سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم شمائله الحميدة، خصائله المجيدة) فارجع إليه تجد الأدلة على ذلك.

فهو نبي الرحمة، وهو رسول الرحمة، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

روى مسلم عن أبي موسى رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يُسَمِّي لنا نفسه أسماء فقال: «أنا محمد، وأحمد، والمقفّى ـ أي: خاتم الأنبياء ـ والحاشر، ونبي التوبة، ونبي الرحمة».

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قيل يا رسول الله ادعُ على المشركين.

فقال: «إني لم أُبْعث لعَّاناً، وإنما بُعثت رحمة».

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم الرحمة المهداة، التي أهداها الله تعالى للعالم أجمع.

وروى الطبراني والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إنما أنا رحمة مهداة».

وفي رواية للطبراني: «بُعثت رحمة مهداة».

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالمؤمنين رؤوف رحيم، يدفع المشاقّ والمكاره عنهم في الدنيا والآخرة، ويجلب لهم أنواع الخير والبر في الدنيا والآخرة.

ومن رأفته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ورحمته بالمؤمنين أنه كان يكثر الدعاء لهم؛ بدفع السوء عنهم في الدنيا والآخرة، وأن يكرمهم الله تعالى في الدنيا والآخرة، كما جاء في الأحاديث التالية:

عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: (تلا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: ﴿ رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّيۖ وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وتلا قوله تعالى: ﴿ إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴾.

فرفع يديه وقال: «اللَّهم أمتي أمتي» وبكى صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقال الله عز وجل: «يا جبريل اذهب إلى محمد ـ وربك أعلم ـ فاسأله ما يبكيه»؟

فأتاه جبريل فسأله فأخبره بما قال ـ وهو أعلم ـ.

فقال الله تعالى: «يا جبريل اذهب إلى محمد فقل له: إنّا

سنُرضيك في أمتك ولا نسوؤك») رواه مسلم كما في (التيسير).

وأخرج البزار والطبراني بإسناد حسن، عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أشفع لأمتي حتى يناديني ربي تبارك وتعالى فيقول: أقد رضيتَ يا محمد؟

فأقول: أيْ ربِّ رضيت».

فهو نبي الرحمة صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

روى الترمذي وابن ماجه عن عثمان بن حنيف رضي الله عنه، أن رجلاً ضريراً أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: ادعُ الله تعالى أن يُعافيني.

فقال: «إنْ شئت دعوتُ لك، وإن شئت صبرتَ فهو خير لك».

قال: فادعُه.

فأمره أن يتوضأ فيحسن وضوءه ويدعو بهذا الدعاء:

«اللهم إني أسألك وأتوجه إليك بنبيك محمد نبي الرحمة صلى الله عليه وعلى آله وسلم يا محمد إني توجهت بك إلى ربي في حاجتي هذه لتقضىٰ لي، اللهم فشفِّعه فيَّ».

وفي رواية النسائي: «فرجع وقد كشف الله تعالى عن بصره».

وفي رواية النسائي: قال: «فتوضَّأ ثم صَلِّ ركعتين ثم قل: اللهم» إلى تمام الحديث.

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم نبي الرحمة.

أخرج مسلم عن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إن الله زوى لِيَ الأرض ـ أي جمعها لي

وضمَّها إليّ ـ فرأيت مشارقها ومغاربها، وإن مُلك أمتي سيبلغ ما زُوي لي منها، وأعطيت الكنزين: الأحمر والأبيض، وإني سألت ربي لأمتي أن لا يُهلكهم بسَنة عامَّة ـ أي: قحط عام يعم الكل ـ، ولا يسلِّط عليهم عدواً من سوى أنفسهم فيستبيح بَيْضتهم ـ فأعطاني»[1] كما في (الخصائص الكبرى).

وقد أكرم الله تعالى المؤمنين برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنواع من الإكرام، وذلك لكرامته صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الله تعالى، كما قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وأنا أكرم الأولين والآخرين على الله تعالى ولا فخر».

ومن ذلك إكرام المؤمنين به صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأنَّه سبحانه لا يُخزيهم يوم القيامة، وقد أعلن الله تعالى ذلك فقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يُكَفِّرَ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ يَوْمَ لَا يُخْزِي ٱللَّهُ ٱلنَّبِيَّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ﴾ ـ أي: لا يخزيهم ـ ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَٰنِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَآ أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَٱغْفِرْ لَنَآ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قال الحافظ السيوطي في (الخصائص الكبرى): أخرج أحمد وأبو بكر الشافعي في الغيلانيات، وأبو نعيم، وابن عساكر:

عن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه قال: سجد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوماً فلم يرفع، حتى ظننا أنّ نفسه قد

---

(١) قال العلامة الزبيدي في (التيسير): وبَيْضَة الناس مُعظمهم، واستباحتهم هي: جعلهم مباحاً بأخذهم أسراً وقتلاً، يتصرف فيهم عدوهم كيف شاء، وقال: أخرجه مسلم وأبو داود والترمذي.

قُبضت فيها، فلما رفع قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم، «إنَّ ربي استشارني ـ أي: خيَّرَني ـ في أمتي ماذا يفعل بهم» ـ أي: تكريماً له لأنهم أمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقلت: «ما شئت ياربِّ، هم خلقك وعبادك.

فاستشارنني الثانية، فقلت له ذلك، فاستشارني الثالثة فقلت له ذلك.

فقال لي: إنيِّ لن أُخزيك في أمتك.

وبشرني أنَّ أول من يدخل الجنة معي من أمتي سبعون ألفاً، مع كل ألف سبعون ألفاً؛ ليس عليهم حساب.

ثم أرسل إليّ: ادع تُجب، وسَل تُعط.

وأعطاني أَنْ غَفَر لي ما تقدم من ذنبي ما تأخر، وأنا أمشي حياً صحيحاً[1]، وشرح صدري، وإنَّه أعطاني أن لا تُخزى أمتي ولا تُغلب، وإنّه أعطاني الكوثر نهراً في الجنة، يسيل في حوضي، وإنّه أعطاني القوة والنصر، والرعب يسعى بين يدي شهراً، وإنّه أعطاني أنِّي أول الأنبياء دخولاً الجنة، وطيَّب ـ أي: أحلّ ـ لأمتي الغنيمة، وأحلّ كثيراً مما شدّد على من قبلنا، ولم يجعل علينا في الدين من حرج ـ فلم أجد لي شكراً إلا هذه السجدة»[2].

وروى الإمام أحمد عن كعب بن مالك رضي الله عنه، أن

---

(١) المراد أعطاني ذلك الآن في الدنيا قبل الآخرة، لا أنَّه وعدني بأنه سيعطيني ذلك في الآخرة ـ كما تقدم بيانه.

(٢) وقد تقدمت رواية الإمام أحمد في (المسند) بلفظها، وذكر هذا الحديث في (مجمع الزوائد) وقال: رواه أحمد وهو حديث حسن. اهـ.

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يُحشر الناس يوم القيامة، فأكون أنا وأمتي على تلٍّ، فيكسوني ربي حلةً خضراء، ثم يُؤذن لي فأقول ما شاء الله أن أقول ـ فذلك المقام المحمود»(١).

وقوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فأقول ما شاء الله أن أقول» يُفسره ما جاء في الصحيحين في حديث الشفاعة قال: «فيفتح الله عليَّ من محامده، وحسن الثناء عليه، ما لم يفتحه على أحد قبلي» الحديث.

وأخرج ابن جرير، وابن مردويه، عن جابر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أنا وأمتي يوم القيامة على كوم ـ أي: مكان مرتفع ـ مشرفين على الخلائق، ما من الناس(٢) أحد إلا وَدَّ أنه منا، وما من نبي كذَّبه قومه إلاَّ ونحن نشهد أَنَّه بلَّغ رسالة ربه»(٣).

وروى الإمام أحمد والنسائي والبيهقي عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يجيء النبي يوم القيامة ومعه الرجل، والنبي ومعه الرجلان، وأكثر من ذلك، فيقال لهم ـ أي: للنبيين ـ هل بلَّغتم؟ فيقولون: نعم، فيُدعى قومهم فيقال لهم: هل بلَّغوكم؟ فيقولون: لا(٤).

فيقال للنبيين: مَنْ يشهد لكم أنكم بلَّغتم.

---

(١) كذا في (الخصائص الكبرى).

(٢) أي: الأمم قبلنا.

(٣) كما في (الخصائص).

(٤) هؤلاء هم المنكرون الكفرة من قومهم.

فيقولون: أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فتدعى أمة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيشهدون أنهم ـ أي: الأنبياء ـ قد بلَّغوا.

فيقال: وما علمكم أنهم قد بلَّغوا؟

فيقولون: جاء نبينا بكتاب ربِّنا، أخبرنا أنهم قد بلَّغوا[1] فصدّقناه.

فيقال: صدقتم، فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾»[2].

وروى البخاري وأصحاب (السنن) والإمام أحمد ـ واللفظ له ـ:

عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يُدعى نوح يوم القيامة، فيقال له: هل بلَّغت؟ فيقول: نعم.

فيُدعى قومه فيقال لهم: هل بلَّغكم؟ فيقولون: ما أتانا من نذير، وما أتانا من أحد.

فيقال لنوح: مَنْ يشهد لك؟

فيقول: محمد وأمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم».

قال: «فذلك قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾».

---

(١) وفي رواية أحمد: «فيقولون: جاءنا نبينا فأخبرنا أن الرسل قد بلغوا» أي: أخبر نبينا عن كتاب ربنا أنهم قد بلغوا؛ فلا تنافي بين الروايتين.

(٢) انظر (الخصائص الكبرى).

قال: «الوسط: العدل ـ فتدعون فتشهدون له بالبلاغ، ثم أشهد عليكم».

والمعنى أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو يُزكِّي أمته، المتَّبِعين له، ويُعَدِّلهم، ويشهد لهم بالثقة والعدالة.

فلما ادَّعى نوح عليه السلام والنبيون أَنَّهم قد بلَّغوا، طولبوا بالبيِّنة ـ وهي: الشهود ـ على دعواهم التبليغ، فجيء بأمة سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم فشهدوا لهم بالتبليغ.

فقيل: من يُزكيكم ويُعَدِّلكم.

فقالوا: يُزكِّينا ويشهد لنا بالعدالة سيد العالمين، وأكرم الأولين والآخرين على الله تعالى ربِّ العالمين، ألا وهو الحبيب الأعظم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً ـ فشهد لهم بالعدالة وزكَّاهم.

وهذا معنى قوله تعالى: ﴿وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًاۗ﴾.

وإنما جيء بكلمة: ﴿عليكم﴾ لتضمُّن شهادته صلى الله عليه وسلم معنى الحكم.

وهذا المنصب، وهو منصب شهادة هذه الأمة على الأمم قبلها؛ هو منصب شريف، ورُتبة عالية، خُصَّت به هذه الأمة المحمدية، المتبعة لرسولها الأكرم صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً ـ جعلنا الله تعالى منهم بفضله وعافيته ـ آمين.

ولذلك يقف، هؤلاء الشهود يوم القيامة، في مكان عالٍ، مشرف على الخلائق كلهم، كما تقدم في الحديث.

ولما كان هذا المقام ـ أي: مقام شهادة هذه الأمة المحمدية المتبعة

له صلى الله عليه وعلى آله وسلم له شأنه الكبير، لما كان هذا المقام شريفاً منيفاً، كان حقيقاً أن يُدعى به، ويسأل من الله تعالى:

قال الله تعالى:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاكْتُبْنَا مَعَ الشَّاهِدِينَ﴾.

قال ابن عباس رضي الله عنهما في هذه الآية الكريمة: (أي: فاكتبنا مع محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأمته، فهم الشاهدون لنبيهم صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنَّه قد بلغ، وللرسل أنَّهم قد بلَّغوا)[1].

اللهم اجعلنا بجاهه صلى الله عليه وعلى آله وسلم منهم ـ آمين.

دعـاؤه صلى الله عليه وعلى آله وسلم للمحدِّثين عنه من أمته

عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «نضَّر الله امرءاً سمع مِنَّا شيئاً فبلَّغه كما سمعه، فربَّ مبلَّغ أوعى من سامع»[2].

---

(١) قال ابن كثير: رواه ابن أبي حاتم، وابن مردويه، والحاكم وصححه اهـ وذكر نحوه في (الدر المنثور)، وعزاه إلى ابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم والحاكم وصححه، وابن مَرْدُوْيَه.

(٢) قال الحافظ المنذري: رواه أبو داود والترمذي، وابن حبان في (صحيحه) إلا أنه قال: «رحم الله امرءاً»، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

=

وعن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «نضَّر الله امرءاً سمع منَّا حديثاً فبلغه غيره، فربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه، وربَّ حامل فقه ليس بفقيه»[1] الحديث.

وعن جبير بن مطعم رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم بالخيف ـ خيف منى ـ يقول: «نَضَّر الله عبداً سمع مقالتي فحفظها ووعاها، وبلَّغها مَن لم يَسمعها، فرُبَّ حامل فقه لا فقه له؛ وربَّ حامل فقه إلى من هو أفقه منه.

ثلاث لا يغلُّ عليهن قلب مؤمن: إخلاص العمل لله تعالى، والنصيحة لأئمة المسلمين، ولزوم جماعتهم، فإنَّ دعوتهم تحفظ من وراءهم».

وفي رواية: «تحيط مَنْ وراءهم»[2].

وروى الطبراني في (الأوسط) عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اللهم ارحم خلفائي».

قلنا: يا رسول الله ومن خلفاؤك؟

= وقال الحافظ المنذري: قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «نضّر الله» هو بتشديد الضاد المعجمة وتخفيفها حكاه الخطابي، ومعناه الدعاء بالنضارة، وهي النعمة والبهجة والحسن، فيكون تقديره: جَمَّله الله تعالى وزيّنه ـ وقيل غير ذلك. اهـ.

(١) قال الحافظ المنذري: رواه ابن حبان في (صحيحه) والبيهقي.

(٢) رواه الإمام أحمد، وابن ماجه، والطبراني في (الكبير) مختصراً، ومطولاً، إلا أنه قال: «تحيط» بياء بعد الحاء كما في (ترغيب) المنذري.

قال: «الذين يأتون من بعدي، يروون أحاديثي، ويعلمونها الناس»[١].

أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي خير الأمم

وكيف لا يكون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أحب خلق الله تعالى إليك أيها المسلم، وقد جعلك الله تعالى من أمته التي هي خير الأمم.

قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ الآية.

وإنما نالت هذه الأمة هذه الخيرية، والأفضلية على غيرها من الأمم؛ بسبب أفضلية نبيها سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم على جميع الأنبياء والمرسلين، فإنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أفضل خلق الله تعالى، وأكرم الأولين والآخرين على الله تعالى.

جاء في الحديث عن حكيم بن معاوية بن حيدة عن أبيه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أنتم توفون» ـ وفي رواية: «تتمُّون» ـ «سبعين أمة، أنتم خيرها، وأكرمها على الله تعالى عز وجل»[٢].

---

(١) انظر (ترغيب) المنذري، و(الفتح الكبير)، و(الخصائص الكبرى) وغيرها.

(٢) عزاه ابن كثير إلى الإمام أحمد، و(جامع) الترمذي، و(سنن) ابن ماجه، و(مستدرك) الحاكم، قال: وهو حديث مشهور، وحسنه الترمذي. اهـ.

وعن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أُعطيتُ مالم يُعط أحد من الأنبياء».

فقلنا: يا رسول الله ما هو؟

قال: «نُصرت بالرعب، وأعطيت مفاتيح الأرض، وسُمِّيْتُ أحمد ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ وجُعل التراب لي طهوراً، وجعلتْ أمتي خير الأمم»[١].

أمة سيدنـا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم هم أكثر أهل الجنة

روى الإمام أحمد، عن ابن بُريدة عن أبيه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، هذه الأمة من ذلك ثمانون صفاً»[٢].

وروى الطبراني بإسناده، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أهل الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من أمتي».

فأهل الجنة عشرون ومائة صف، وكل صف لا يَعلم عدده إلا الله تعالى، ثمانون صفاً من أمة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأربعون صفاً من سائر الأمم السابقة.

---

(١) قال ابن كثير رحمه الله تعالى: تفرد به أحمد من هذا الوجه وإسناده حسن. اهـ.

(٢) قال ابن كثير: أخرجه الترمذي، وقال: هذا حديث حسن، ورواه ابن ماجه. اهـ

فالحمد لله تعالى الذي جعلنا من أمته صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أمة سيدنـــا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي أول من يدخل الجنة من الأمم

جاء في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إنَّ الجنة حُرِّمَتْ على الأنبياء كلهم حتى أدخلها، وحرِّمتْ على الأمم حتى تدخلها أمتي»[1].

كما أنَّ هذه الأمة المحمدية هي أول من يجوز الصراط من الأمم، كما جاء في (الصحيحين) - في حديث طويل - يقول صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ثم يُضرب الصراط - أي: ينصب - بين ظهراني جهنم، فأكون أول من يجوز من الرسل بأمته؛ ولا يتكلم يومئذ أحد إلا الرسل، وكلام الرسل: اللهم سلِّم سلِّم»[2].

المرء مع من أحب

وكيف لا يكون سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أحب خلق الله تعالى إليك أيها الإنسان، وقد قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «المرء مع من أحب».

---

(١) رواه الدارقطني، والطبراني في (الأوسط) كذا في (شرح المواهب).

(٢) أي: فكل رسول يدعو لأمته بالسلامة والحفظ حين يمرون على الصراط، ورسولنا الأعظم يدعو لنا صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وأيُّ فضل وشرف أعظم من المعيَّة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فعن ابن مسعود رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا رسول الله كيف ترى في رجل أحبَّ قوماً ولم يلحق بهم ـ أي: لم يعمل مثلهم ـ

فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «المرء مع من أحبَّ»[(١)].

وعن أبي ذر رضي الله عنه أنه قال: (يا رسول الله: الرجل يُحب القوم ولا يستطيع أن يعمل بعملهم.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أنت يا أبا ذر مع من أحببت».

قال أبو ذر: فإني أحب الله ورسوله.

قال: «فإنك مع من أحببت».

فأعادها أبو ذر، فأعادها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم[(٢)]) رواه أبو داود.

وروى مسلم: عن أنس رضي الله عنه قال: بينما أنا ورسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم خارجين من المسجد، فلقينا رجلاً عند سُدة[(٣)] المسجد، فقال: يا رسول الله متى الساعة؟

---

(١) متفق عليه كما في (ترغيب) المنذري.

(٢) انظر (ترغيب المنذري) و(شرح المواهب).

(٣) سُدة المسجد: المراد بها هنا الظلال المسقفة عند بابه.

قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وما أعددت لها»؟.

قال: فكأنَّ الرجل استكان.

ثم قال: يا رسول الله ما أعددت لها كثير صلاة ولا صيام ولا صدقة[1]، ولكني أحب الله ورسوله.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فأنت مع من أحببت».

قال أنس فما فرحنا بشيء فرحنا بقول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أنت مع من أحببت».

قال أنس رضي الله عنه: (فأنا أحب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأبا بكر وعمر وأرجو أن أكون معهم بحبي إياهم).

قال الحافظ المنذري: رواه البخاري ومسلم، قال: وفي رواية للبخاري: أن رجلاً من أهل البادية أتى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا رسول الله متى الساعة قائمة؟

قال: «ويلك وما أعددت لها»؟

قال: ما أعددت لها، إلاّ أني أحب الله ورسوله.

قال: «فإنك مع من أحببت».

قال ـ أي: أنس رضي الله عنه ـ: ونحن كذلك؟.

فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «نعم».

ففرحنا يومئذ فرحاً شديداً.

قال الحافظ المنذري: ورواه الترمذي ولفظه: قال ـ أي: أنس

---

(١) أي: ما عندي كثرة نوافل: من صلاة وصدقة وصيام.

رضي الله عنه ـ: رأيت أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فرحوا بشيء لم أرهم فرحوا بشيء أشدّ منه، قال رجل: يا رسول الله: الرجل يُحب الرجل على العمل من الخير يعمل به ولا يعمل بمثله.

فقال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «المرء مع من أحبَّ».

وفي (صحيح) مسلم عن أنس رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: يا رسول الله متى الساعة؟

قال: «وما أعددت للساعة»؟

قال: حبَّ الله ورسوله.

قال: «فإنك مع من أحببت».

قال أنس رضي الله عنه: فما فرحنا بعد الإسلام فرحاً أشد من قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «فإنك مع من أحببت».

قال أنس رضي الله عنه: فأنا أحب الله ورسوله وأبا بكر وعمر فأرجو أن أكون معهم وإن لم أعمل بأعمالهم.

فهؤلاء أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لقد فرحوا أشدَّ الفرح بمعيتهم لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذلك بسبب حبهم له، لما سمعوا قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «المرء مع من أحب».

فأنت أيها المسلم والمسلمة، أما لكما أُسوة بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذلك بأن تُحبَّا رسول الله صلى الله

عليه وعلى آله وسلم حُباً صادقاً فوق محبة المخلوقات كلِّها.

روى الترمذي والنسائي، عن صفوان بن قُدامة رضي الله عنه قال: هاجرتُ إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأتيته فقلت: يا رسول الله ناولْني يدك أبايعك، فناولني يده فبايعته.

فقلت: يا رسول الله إني أحبك.

فقال: «المرء مع من أحبَّ»[1].

وجاء في الحديث عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ثلاث هنَّ حقٌّ: لا يجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، ولا يتولَّى الله عبداً فيوليه غيره، ولا يحب رجل قوماً إلاّ حُشر معهم»[2].

وعن أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ثلاثة أحلف عليهنَّ: لا يَجعل الله من له سهم في الإسلام كمن لا سهم له، وأسْهُم الإسلام ثلاثة: الصلاة والصوم والزكاة، ولا يتولَّى الله عبداً في الدنيا فيوليه غيره يوم القيامة، ولا يحب رجل قوماً إلا جعله معهم» الحديث[3].

اللهم اهدنا فيمن هديت، وعافنا فيمن عافيت، وتولَّنا فيمن توليت، وبارك لنا فيما أعطيت، وقنا شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يُقضى عليك، وإنه لا يذلُّ من واليت، ولا يعزُّ من عاديت،

---

(١) انظر (شروح الشفا).

(٢) قال في (ترغيب) المنذري: رواه الطبراني في (الصغير) و(الأوسط) بإسناد جيد، ورواه في (الكبير) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه. اهـ.

(٣) قال الحافظ المنذري: رواه أحمد بإسناد جيد.

تباركت ربنا وتعاليت، فلك الحمد على ما قضيت، نستغفرك اللهم ونتوب إليك، وصلى الله العظيم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً أبداً أبداً.

من علامـات

محبة النبي صــلى الله عليه وعلى آله وسلـم

ينبغي للمسلم أَن يعلم أنَّ محبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم لها علامات وبيِّنات تدل على صدق المحبة، وتلك العلامات هي كثيرة، أذكر منها جملة مشهورة:

الأولى: التمسـك بشريعتـه صلى الله عليـه وعلى آلـه وسلـم، والاهتداء بهديه، واتباع سنّته، والسير على منهاجه وسيرته صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال الله تعالى: ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴾.

فجعل الله تعالى متابعة الرسول صلى الله عليه وعلى آله وسلم علامةً وشاهداً على محبة العبد لربه، وجعل جزاء العبد على حسن متابعته لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم جعل جزاءه محبة الله تعالى إيَّاه، وغفرانه سبحانه له.

قال الحسن البصري وغيره من السلف: زعم أقوام على عهد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنهم يُحبون الله تعالى ـ قال الحسن: فابتلاهم الله تعالى بهذه الآية الكريمة. اهـ

أي: فأنزل الله تعالى هذه الآية الكريمة، امتحاناً لأدعياء محبة الله تعالى، وبيَّن فيها الدليل على صدق محبة العبد لله تعالى وهو:

اتباع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وبيَّن فيها أَنَّ جزاء المتَّبع لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنَّ الله تعالى يُحبه، فمن أراد أن يحبه الله تعالى فعليه باتباع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأن يُحبَّ جميع ما جاء به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

جاء في الحديث عن عبد الله بن عَمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به».

قال الإمام النووي رضي الله عنه: حديث حسن صحيح، رويناه في كتاب الحجة بإسناد صحيح. اهـ

والمراد بالهوى هنا: المحبة والميل الكلِّي.

ورواه الطبراني بإسناده عن عبد الله بن عمرو قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يُؤمن أحدكم حتى يكون هواه تبعاً لما جئتُ به؛ ولا يزيغ عنه» أي: لا يميل عما جاء به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بل يستقيم على ذلك ولا يتغيَّرُ ولا يتحوّل عما جاء به صلى الله عليه وآله وسلم.

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وقال الله تعالى ـ في المنافقين ـ: ﴿وَإِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُم مُّعْرِضُونَ وَإِن يَكُن لَّهُمُ الْحَقُّ يَأْتُوا إِلَيْهِ مُذْعِنِينَ أَفِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ أَمِ ارْتَابُوا أَمْ يَخَافُونَ أَن يَحِيفَ[1] اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَرَسُولُهُ بَلْ أُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾.

---

(١) الحيف: هو الظلم والجور، يُقال: حاف عليه أي: ظلمه، وهو من باب باع.

وقال في المؤمنين: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُواْ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

ويرحم الله تعالى القائل:

تعصي الإلّه وأنت تُظهر حبه ... هذا لعمري في القياس بديع[1]
لو كان حُبُّك صادقاً لأطعته ... إنَّ المحب لمن يحب مطيع
في كل يوم يبتديك بنعمة ... منه وأنت لشكر ذاك تُضيع

فمن العلامات الدالَّة على صدق محبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اتباع شريعته، والتمسك بها، مع المحبة لسنته صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

روى الترمذي عن أنس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا بنيَّ إنْ قدرتَ أن تمسي وتصبح وليس في قلبك غشٌّ لأحد فافعل».

ثم قال: «يا بني وذلك من سنتي، ومن أحيى سنتي فقد أحبني، ومن أحبني كان معي في الجنة» أي: لأنَّ المرء مع من أحب.

قال الحافظ الزرقاني بعدما أورد الحديث بهذا اللفظ قال: وفي رواية: «فقد أحياني، ومن أحياني» ـ أي: أظهر ذكري ورفع أمري، فجعله بمنزلة الأحياء. اهـ لكن الرواية المشهورة عند أكثر المحدثين هي: «فقد أحبني».

وعن العرباض بن سارية رضي الله عنه، أنَّه سمع رسول الله

---

(١) أي: غريب عجيب مخالف لأنواع القياس.

صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لقد تركتكم على مِثل البيضاء، ليلها كنهارها؛ لا يزيغ عنها إلا هالك».

قال الحافظ المنذري: رواه ابن أبي عاصم في (كتاب السنة) بإسناد حسن.

قلت: وقد روى الإمام أحمد في (مسنده) عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: وعظنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم موعظة: ذرفت منها العيون، ووجِلتْ منها القلوب.

فقلنا: يا رسول الله إنَّ هذه لموعظة مودِّع، فماذا تعهد إلينا؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «قد تركتكم على البيضاء، ليلها كنهارها، لا يزيغ عنها بعدي إلا هالك» الحديث كما في (المسند).

فقد ترك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته على شريعة سمحة، بيضاء منيرة، كالشمس البيضاء، ليلها كنهارها، ليس فيها إبهام، ولا خفاء، ولا التباس، ولا حيرة، ولا شك، ولا ارتياب، بل هي بيضاء كالشمس، جليَّة واضحة نقية، جاءت بجميع ما فيه المصالح البشرية، والسعادة الدنيوية والأخروية، وبيان الحقوق الفردية، والاجتماعية، وهذا كله معلوم قطعاً عند كل ذي عقل كامل ورويَّة.

فأحكام هذه الشريعة قائمة على حِكَم مُحكمة، يعلم ذلك كل من تدبَّر وتفكر، وعقل وتذكَّر، وانتبه وتبصَّر.

قال الله تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ مُبَٰرَكٞ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾.

وقال تعالى: ﴿ الٓر تِلْكَ ءَايَٰتُ ٱلْكِتَٰبِ ٱلْمُبِينِ ۝١ إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ قُرْءَٰنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾.

وقال الله تعالى: ﴿ قَدْ جَآءَكُم بَصَآئِرُ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَنْ عَمِىَ فَعَلَيْهَا ۚ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِىٓ أَدْعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ ۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا۠ وَمَنِ ٱتَّبَعَنِى ۖ ﴾ الآية.

فجاء صلى الله عليه وعلى آله وسلم ليفتح الله تعالى به أعيناً عُمياً، وآذاناً صمّاً، وقلوباً غلفاً ـ كما تقدم في الحديث.

العلامة الثانية: الدّالة على محبة الإنسان لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهي: توقيره وتعظيمه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال الله تعالى: ﴿ إِنَّآ أَرْسَلْنَٰكَ شَٰهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ۝٨ لِّتُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتُعَزِّرُوهُ وَتُوَقِّرُوهُ وَتُسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴾.

أي: تسبحوا الله تعالى بكرة وأصيلا.

وفي هذه الآية الكريمة، دليل على وجوب تعظيمه وتوقيره فوق كل المخلوقات، وكلما زادت المحبة له صلى الله عليه وعلى آله وسلم زاد تعظيمه وتوقيره له صلى الله عليه وآله وسلم.

فقوله تعالى: ﴿ وَتُعَزِّرُوهُ ﴾ معنى ذلك كما قال ابن عباس وغيره: تُعظِّمُوه، ومعنى: ﴿ وَتُوَقِّرُوهُ ﴾ التوقير هو الاحترام والإجلال والإعظام، ولقد كان أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعظمونه صلى الله عليه وعلى آله وسلم تعظيماً فائقاً على

تعظيم جميع أنواع المخلوقات؛ ويُوَقِّرونه توقيراً فوق جميع المخلوقات؛ وهذا أمر مفروض على كل مسلم بنصٍّ قوله تعالى: ﴿وَتُعَزِّرُوهُ﴾ ـ أي: تعظموه ـ ﴿وَتُوَقِّرُوهُ﴾ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال الله تعالى: ﴿فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِىٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

اللهم اجعلنا منهم بجاهه عندك صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

روى البخاري وغيره في حديث الحديبية ـ وقد بَعثت كفار قريش عروة بن مسعود الثقفي وسيطاً عنهم يكلم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وكان وقتئذ مشركاً ثم أسلم بعدُ وحسن إسلامه رضي الله عنه: قال راوي الحديث: (ثم إنَّ عروة جعل يَرمُق ـ أي: يلحظ ـ أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بعينيه، قال: فوالله ما يتنخَّم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم نُخامة إلا وقعت في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده ـ أي: تبركاً بذلك، وفي رواية لابن إسحاق: ولا يسقط من شعره إلاّ أخذوه ـ أي: واحتفظوا به متبركين.

قال: وإذا أمرهم بأمر ابتدروا أمره ـ أي: أسرعوا إلى فعله ـ، وإذا توضأ صلى الله عليه وعلى آله وسلم كادوا يقتتلون على وَضوئه[1]، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدقون النظر إليه تعظيماً له صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

(١) قال في (شرح المواهب): أي: على ما يجتمع من القطر، وما يسيل من الماء الذي باشر أعضاءه الشريفة عند الوضوء ـ قاله المصنف. اهـ.

فرجع عروة إلى أصحابه فقال لهم: أيْ قوم، والله لقد وَفدت على الملوك، ووفدت على كسرى ـ ملك الفرس ـ وعلى قيصر ـ ملك الـروم ـ وعلى النجـاشي ـ ملـك الحبشـة ـ والله إنْ رأيـت ـ أي: ما رأيت ـ مَلكاً قطُّ يُعظمه أصحابه ما يعظم ـ أي: مثل تعظيم ـ أصحاب مُحمدٍ مُحمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والله إن يتنخم نخامة ـ أي: ما يتنخم نخامة ـ إلاّ وقعتْ في كف رجل منهم، فدلك بها وجهه وجلده، وإذا أمرهم ابتدروا أمره؛ وإذا توضأ كادوا يقتتلون على وَضوئه، وإذا تكلموا خفضوا أصواتهم عنده، وما يُحِدُّون النظر إليه تعظيماً له، وإنّه قد عرض عليكم خُطة رشد فاقبلوها ـ الحديث كما في (التيسير) وغيره.

وقد جاء في حديث هند ابن أبي هالة، الذي رواه الترمذي في أوصاف النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد ذكرته بتمامه في كتاب (سيدنا محمد رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وفيه يقول هند بن أبي هالة: «وإذا تكلم صلى الله عليه وعلى آله وسلم أطرق جلساؤه كأنما على رؤوسهم الطير» أي: أمالوا رؤوسهم، وأقبلوا بأبصارهم إلى صدورهم، وسكنوا وسكتوا؛ إجلالاً له صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأدباً معه، فكانت صفتهم في ذلك صفة مَن على رأسه طائر يريد أن يَصيده، فهو يخاف أن يتحرَّك فيذهب الطائر.

وفي هذا دليل على كمال الإصغاء والأدب والتوقير.

روى الترمذي وغيره عن أسامة بن شريك قال: أتيت النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه حوله كأنما على رؤوسهم الطير.

أي: من كمال أدبهم وتوقيرهم للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

العلامة الثالثة: الدالة على محبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: تعظيمه عند ذكره صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ بكثرة الصلاة عليه، والثناء عليه، والأدب والخضوع والاستكانة والتهيُّب عند ذكره صلى الله عليه وآله وسلم، أو عند تلاوة حديثه الشريف صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو سماعه أيضاً:

قال الإمام مالك رضي الله عنه وقد سُئل عن أبي أيوب السختياني فكان من جملة جوابه أنَّ أبا أيوب حج حجتين، قال مالك: فكنت أَرْمقه ـ أي: كنت معه دائماً أنظر إليه ـ ولا أسمع منه ـ أي: كلاماً ـ غير أنه كان إذا ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكى حتى أرحمه ـ أي: من شدة بكائه ـ شوقاً إليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال مالك: فلما رأيت منه ما رأيت وإجلاله للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كَتَبْتُ عنه ـ أي: كتبت عنه الحديث ورويت عنه العلم ـ.

وقال مصعب بن عبد الله أحد الرواة عن مالك وغيره قال: كان مالك إذا ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يَتَغيَّرُ لونه، وينحني حتى يصعب ذلك على جلسائه.

فقيل له يوماً في ذلك، فقال: لو رأيتم ما رأيتُ لما أنكرتم عليَّ ما ترون.

قال: ولقد كنت أرى محمد بن المنكدر ـ أحد شيوخه ـ وكان سيد القراء، لا نكاد نسأله عن حديث أبداً إلا يبكي حتى نرحمه.

قال مالك: ولقد كنت أرى السيد جعفر بن محمد الصادق رضي الله عنه[1]، وكان كثير الدُّعابة والتبسم، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم اصفرَّ لونه وتغيَّر حاله، قال: وما رأيته ـ رضي الله عنه ـ يُحدث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلا على طهارة.

قال مالك: ولقد اختلفت ـ أي: أكثرت التردد ـ إليه زماناً كثيراً فما كنت أراه إلاّ على ثلاث خصال: إمَّا مصليّاً، وإما صامتاً ـ أي: مراقباً ومتفكراً ـ وإما يقرأ القرآن، ولا يتكلم رضي الله عنه إلاّ فيما يعنيه ـ أي: عملاً بقول الله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ هُمْ عَنِ ٱللَّغْوِ مُعْرِضُونَ﴾، وامتثالاً لقوله صلى الله عليه وعلى وآله وسلم: «مِنْ حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه».

قال مالك: وكان ـ أي: الإمام جعفر رضي الله عنه من العلماء والعبّاد، الذين يخشون الله تعالى عز وجل. اهـ

أي: كان رضي الله عنه من أكبر العلماء، وأكبر العُبَّاد، ومن أكبر أهل الخشية من الله تعالى، الذين أثنى الله تعالى عليهم بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى ٱللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ ٱلْعُلَمَٰٓؤُا۟﴾.

فعلى قدر العلم بالله تعالى تكون الخشية من الله تعالى.

كما روى الشيخان عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «فوالله إنِّي لأعلمهم بالله وأشدهم له خشية» الحديث.

---

(١) أي: كان يكثر التردد إلى الإمام الكبير سيدنا جعفر الصادق رضي الله عنه.

قال الإمام مالك رضي الله عنه: ولقد كان عبد الرحمن بن القاسم يذكر النبي صلى الله وعلى آله وسلم فيُنظر إلى لونه كأنه نَزِف منه الدم، وقد جفَّ لسانه في فمه؛ هيبةً منه لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال: ولقد كنت آتي عامر بن عبد الله بن الزبير، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكى حتى لا يبقى في عينيه دموع.

قال: ولقد رأيت الزهري وكان من أهنأ الناس ـ أي: ألطفهم في العشرة والمجالسة ـ وأقربهم، فإذا ذكر عنده النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم فكأنَّه ما عرفك ولا عرفته.

قال: ولقد كنت آتي صفوان بن سليم، وكان من المتعبدين المجتهدين، فإذا ذكر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بكى فلا يزال يبكي حتى يقوم الناس عنه ويتركوه. اهـ

وروى عن قتادة أنه كان إذا سمع الحديث أخذه العويل والزويل[١].

ولما كثر على الإمام مالك الناس قيل له: لو جعلتَ مستملياً ـ أي: مبلغاً للناس ـ يُسمعهم.

فقال: قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

(١) العويل هو: صوت البكاء، والزويل: بفتح الزاي وكسر الواو: القلق والعناء، وأصل الزويل عدم الاستقرار ـ انظر ذلك في (شروح الشفاء).

قال: وحُرمته حيًّا وميتاً على السواء صلى الله عليه وعلى آله وسلم. اهـ

أي: لأنّه حيٌّ في قبره الشريف صلى الله عليه وعلى آله وسلم، بحياة أعظم من حياة الدنيا[1].

وقد روى البيهقي وغيره بإسناد حسن، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلُّون».

وروى مسلم والنسائي عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أتيت ليلة أُسْرِيَ بي على موسى قائماً يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر».

وكان ابن سيرين ربَّما يضحك، فإذا ذكر عنده حديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم خشع ـ أي: من مهابته وتوقيره للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وكان عبد الرحمن بن مَهدي إذا قرأ حديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمرهم بالسكوت، وقال: ﴿لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ صلى الله عليه وآله وسلم، يتأوّل أنه يجب له من الإنصات عند قراءة حديثه صلى الله عليه وآله وسلم ما يجب ـ أي: كما يجب ـ له عند سماع قوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقال أبو مصعب: كان مالك رضي الله عنه لا يُحدث بحديث النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلاّ وهو على وضوء؛ إجلالاً له ـ أي: لحديثه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

(١) وقد ذكرت أنواعاً من الأدلة على ذلك في بعض كتبي فارجع إليها.

وحكى الإمام مالك ذلك عن الإمام السيد جعفر الصادق رضي الله عنه.

وقال مصعب بن عبد الله: كان مالك بن أنس إذا حدَّث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم توضأ وتهيأ، ولبس ثياباً ـ أي: ثياباً حسنة ـ ثم يُحدِّث.

قال مصعب: فسئل ـ مالك ـ عن ذلك، فقال: إنّه حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أي: فيجب توقيره وتعظيمه.

وقال مطرِّف بن عبد الله: كان إذا أتى الناس مالكاً ـ أي: وقفوا على بابه ـ خرجت إليهم الجارية فتقول لهم: يقول لكم الشيخ ـ تعني مالكاً ـ تُريدون الحديث أو المسائل؟ ـ أي: المسائل الفقهية ـ.

فإن قالوا: نريد المسائل خرج إليهم ـ أي: على حاله وهيئته ـ، وإن قالوا: نريد الحديث، دخل مغتسله ـ أي: موضع اغتساله ـ فاغتسل، وتطيَّب، ولبس ثياباً جدداً، ولبس ساجه ـ أي: طيلسانه، وتعمَّم، ووضع على رأسه رداءه، وتُلْقَى ـ أي: توضع ـ له منصّة في موضع مرتفع، فيخرج فيجلس عليها، وعليه الخشوع، ولا يزال يُبخّر بالعود حتى يفرغ من حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال: ولم يكن مالك يجلس على تلك المنصَّة إلا إذا حدَّث عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال ابن أبي أويس: فقيل لمالك في ذلك.

فقال: أحبُّ أن أعظم حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله

وسلم، ولا أُحدِّث به إلا عن طهارة متمكناً ـ أي: لا متكئاً ولا مائلاً ـ.

قال ابن أبي أويس: وكان مالك يكره أن يُحدِّث في الطريق، أو هو قائم أو مستعجل، وقال: أحبُّ أن أفهِّم ـ الطالب ـ حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقال ضرار بن مرة: كانوا يكرهون أن يحدثوا على غير وضوء.

ومثل ذلك جاء عن قتادة.

وقال عبد الله بن المبارك: كنت عند مالك وهو يحدثنا ـ أي: حديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ فلدغته عقرب ستّ عشرة مرة، وهو يتغير لونه، ويصَفرُّ، ولا يقطع حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فلما فرغ من المجلس وتفرّق عنه الناس، قلت له: يا أبا عبد الله لقد رأيت منك اليوم عجباً؟

قال: نعم، إنّما صبرتُ إجلالاً لحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم(١).

وقد ذكرت في كتاب (الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم) جملة واسعةً مما ورد عن السلف الصالح من الأدب والتعظيم لحديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فارجع إليه تجد التفصيل لما أجملته هنا.

إذا علمت ذلك أيها المسلم، وعلمت ما كان عليه سلفنا الصالح من المحبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم،

---

(١) انظر جميع ذلك في كتاب (الشفاء) للعلامة القاضي عياض رحمه الله تعالى وانظر شروحه.

والتعظيم له، والتوقير والإجلال له صلى الله عليه وعلى آله وسلم، والأدب والتعظيم لحديثه وسيرته، وذكره إذا ذكر صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فالواجب على كل مسلم ومسلمة أن ينهج على منهجهم، ويسير على سيرهم، وما كانوا عليه من التعظيم والتوقير، والمحبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولحديثه وسيرته الشريفة؛ فإنّه حبيب الله تعالى الأكرم، وإمام الأنبياء والمرسلين، وخاتمهم أجمعين صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم أجمعين.

وينبغي الإكثار من ذكره صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وذكر صفاته الكريمة، وأخلاقه العظيمة، فإنّ من شأن المحب أنْ يكثر ذكر محبوبه:

روى أبو نعيم والديلمي عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «مَنْ أحبَّ شيئاً أكثر من ذكره»[1].

ويرحم الله تعالى القائل:

لي حبيب خياله نُصب عيني   سرُّه في ضمائري مكنون
إن تذكرته فكلي قلوب   أو تأمَّلْتُه فكلي عيون

ومن علامات محبته صلى الله عليه وعلى آله وسلم: الشوق لرؤيته ولقائه صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

روى الإمام مسلم في (صحيحه) عن أبي هريرة رضي الله عنه،

---

(١) كما في (شرح المواهب)، وذكره الحافظ السيوطي في (الجامع الصغير) معزواً إلى الديلمي، ونبه الشارح إلى أنه رواه أبو نعيم أيضاً.

أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «مِنْ أشدِّ أمتي لي حُبًّا ناس يكونون بعدي، يود أحدهم لو رآني بأهله وماله».

أي: ولو بتركه لأهله وماله.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «والذي نفس محمد بيده، ليأتينَّ على أحدكم يوم لا يراني، ثم لأن يراني أحبّ إليه من أهله وماله معهم».

فيتمنى أحدهم أن يراه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولو بترك أهله وماله، وذلك من شدة شوقهم لرؤيته صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ومشاهدة أنواره، وجماله وكماله، وإفاضة نفحاته وأسراره، وبركاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ فذلك أحب إليهم من الأهل والمال.

العلامة الرابعة: الدَّالة على صدق محبة المسلم لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثرة زيارته صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما استطاع، فإنَّ من شأن المحب الصادق كثرة زيارته لمحبوبه، والتردُّد إليه:

روى الدارقطني وأبو الشيخ وابن أبي الدنيا كلهم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «مَن زار قبري وَجَبتْ له شفاعتي» ـ أي: له شفاعة خاصة ترفع درجة الزائر، وتزيد في تكريمه وتشريفه.

قال الحافظ القسطلاني: وفي (المعجم الكبير) للطبراني، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «مَنْ جاءني زائراً، لا تُعمله[1] إلاّ زيارتي: كان حقاً عليَّ أن أكون له شفيعاً يوم القيامة» وصححه ابن السَّكن[2].

وعن حاطب بن أبي بلتعة البدري رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من زارني بعد موتي فكأنَّما زارني في حياتي، ومن مات في أحد الحرمين بُعث من الآمنين» رواه البيهقي كما في (ترغيب) المنذري، و(المواهب اللدنية) وغيرهما.

وعن عمر رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «من زار قبري ـ أو قال[3]: «من زارني» ـ كنتُ له شفيعاً أو شهيداً» رواه البيهقي وغيره كما في (المواهب).

وعن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من زارني محتسباً[4] إلى المدينة، كان في جواري، وكنتُ له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة» رواه البيهقي كما في (المواهب) وشرحها.

ورواه المنذري في (الترغيب) ولفظه:

---

(١) قال الزرقاني: لا تعمله: بضم التاء، أي: لا تحمله على العمل حاجة. اهـ والمعنى أن مقصوده الزيارة.

(٢) قال الشارح: وهو أي: ابن السكن من كبار الحفاظ والنقاد اهـ.

(٣) الشك من الراوي.

(٤) قال الحافظ الزرقاني: أي: طالباً زيارته صلى الله عليه وعلى آله وسلم لوجه الله تعالى، وابتغاء رضوانه تعالى وقربه. اهـ.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من مات في أحد الحرمين بُعث من الآمنين يوم القيامة، ومن زارني محتسباً إلى المدينة كان في جواري يوم القيامة» رواه البيهقي. اهـ

ويرحم الله تعالى القائل:

إليك وإلاَّ لا تُشدُّ الركائب وعنك وإلاَّ فالمحدِّث كاذب
ومن مذهبي حبُّ الديار لأهلها وللناس فيما يعشقون مذاهب

ويرحم الله تعالى القائل ـ يخاطب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

أتيتك زائراً ووددتُ أنِّي جَعلتُ سواد عيني أمتطيه
ومالي لا أسير على المآقي إلى قبر رسولُ الله فيه

صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً أبداً.

وقد أعلمنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنَّه يردُّ السلام على من يسلم عليه بعد وفاته، كما كان يرد السلام في الحياة الدنيا:

روى أبو داود، والإمام أحمد، والطبراني، والبيهقي عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ما من أحد(١) يُسلم عليَّ إلا ردَّ الله تعالى إليَّ روحي ـ وفي رواية: «إلا ردَّ الله عليَّ روحي» ـ حتى أردَّ عليه السلام».

وفي رواية: «ما من مسلم يُسلِّم عليّ، إلا ردّ الله تعالى إلي روحي، حتى أرد عليه السلام».

---

(١) أي: أحد من المسلمين كما سيأتي في الرواية الثانية.

وهذا لا ينافي أنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو حيٌّ في قبره الشريف حياة مستمرة دائمة ثابتة، ولا تفارقه الحياة كما جاء في الحديث: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون» ـ كما تقدم، كما بَيَّن ذلك في (المواهب وشرحها)، وكما بَيَّن ذلك المناوي في شرحه على (الجامع الصغير)، وكما بين ذلك الحافظ السيوطي في (الحاوي) وقد بَيَّن هؤلاء وغيرهم من المحدثين، بَيَّنوا ذلك من عدة وجوه، فمن أراد التوسع في البحث فليرجع إليها.

وقد ذكرت بعض الأجوبة عن ذلك في كتاب (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم) فارجع إليه تجد ما ينفعك.

روى أبو يعلى وغيره عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم:

«والذي نفسي بيده، لينزلنَّ عيسى ابن مريم، ثم لئن قام على قبري فقال يا محمد لأجيبَنَّهُ».

وروى الحاكم وصححه، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ليهبطنّ عيسى ابن مريم، حكماً، وإماماً مقسطاً، وليسلكنّ فَجّاً فجّاً، حاجّاً أو معتمراً، وليأتينَّ قبري حتى يُسلم عليَّ ولأردنّ عليه» كذا في (الجامع الصغير) وغيره.

وروى الدارمي في (سننه) بإسناده عن سعيد بن عبد العزيز قال لما كان أيام الحرَّة[1]، ولم يؤذَّن في المسجد النبوي الشريف صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاثاً، ولم يُقم[2]؛ ولم يبرح سعيد بن المسيب

---

(١) وهي الأيام التي وقعت فيها فتنة يزيد.

(٢) أي: لم يقم فيها الصلاة، قال الحافظ الزرقاني: لعدم تمكن أحد من =

من المسجد، وكان لا يعرف وقت الصلاة إلاّ بهمهمة يَسمعها من قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وروى ذلك أيضاً ابن النجار، وابن زُبالة بلفظ: إنَّ الأذان ـ أي: في المسجد النبوي ـ تُرك في أيام الحرة، ثلاثة أيام، وخرج الناس ـ أي: من المسجد ـ وسعيد بن المسيب في المسجد، قال ـ أي: سعيد: فاستوحشت، فدنوت من القبر الشريف ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ، فلما حضرت الظهر سمعت الأذان من القبر الشريف، فصلّيت ركعتين ـ أي: نفلاً ـ ثم سمعت الإقامة فصلّيت الظهر، ثم مضى ذلك الأذان والإقامة في المسجد لكل صلاة حتى مضت الثلاث ـ يعني ليالي أيام الحرة.

وهذا كرامة من الله تعالى لسعيد بن المسيب، حيث أسمعه الله تعالى ذلك[١]، وهذا مما يُوْضح ويبين معنى الحديث الذي رواه البيهقي وصححه، ورواه أبو يعلى، والبزار، وابن عدي، عن أنس رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «الأنبياء أحياء في قبورهم يصلون».

وحديث مسلم عنه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «مررت ليلة أُسري بي على موسى يصلي في قبره عند الكثيب الأحمر».

وهذا كله يبين لك، ويُشهدك أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو حيٌّ في قبره الشريف صلى الله عليه وعلى آله وسلم بحياة هي أعظم وأكبر من حياة الدنيا.

= دخول المسجد الشريف من الخوف. اهـ.

(١) انظر (شرح المواهب).

والشواهد على ذلك كثيرة وشهيرة.

قال الحافظ القسطلاني في (المواهب): وكذا قال الحافظ ابن كثير في تفسيره وهذا لفظه:

قد ذكر جماعة من العلماء منهم الشيخ أبو منصور الصباغ في كتابه (الشامل) الحكاية المشهورة عن العتبي - بِضَمٍّ فسكون - واسمه محمد بن عبد الله المتوفى سنة ثمان وعشرين ومائتين، قال: كنت جالساً عند قبر النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فجاء أعرابي فقال: السلام عليك يا رسول الله، سمعت الله تعالى يقول: ﴿ وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾.

وقد جئتك مستغفراً لذنبي، مستشفعاً بك إلى ربي ثم أنشأ يقول:

يا خير من دُفنت بالقاع أعظمه فطاب من طيبهنّ القاع والأكَم

صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً

نفسي الفداء لقبرٍ أنت ساكنه فيه العفاف وفيه الجود والكرم

صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً

ثم انصرف الأعرابي، قال العتبي: فغلبتني عيني، فرأيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في النوم، فقال: يا عتبي إلحق الأعرابي فبشره أَنّ الله تعالى قد غفر له.

وفي رواية القسطلاني. إلحق الأعرابي فبشره أَنّ الله تعالى قد غفر له بشفاعتي، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال الحافظ القسطلاني: وهذه - أي: الحكاية - ذكرها ابن النجار، وابن عساكر، وابن الجوزي في كتاب: (مثير الغرام

الساكن) عن محمد بن حرب الهلالي ـ وذكر القصة. اهـ

وحكى في (المواهب اللدنية) وشرحها عن حاتم الأصم، أنَّه وقف حاتم الأصم البلخي وكان من أجل المشايخ الزهَّاد، اعتزل الناس ثلاثين سنة في قبة لا يكلمهم إلاَّ جواباً لضرورة[1]، وقف حاتم الأصم على قبره صلى الله عليه وآله وسلم فقال: يا ربِّ إنَّا زُرنا قبر نبيك صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فلا تردَّنا خائبين.

فنودي: يا هذا ما أذِنَّا لك في زيارة قبر حبيبنا إلاَّ وقد قبلناكَ، فارجع أَنتَ ومَنْ معك من الزوَّار مغفوراً لكم. اهـ

وعن الأصمعي قال: وقف أعرابي مقابل القبر الشريف فقال: اللهم هذا حبيبك، وأنا عبدك، والشيطان عَدوُّك، فإن غفرتَ لي سُرَّ حبيبك، وفاز عبدك، وغضب عدوُّك ـ أي: الشيطان ـ وإن لم تغفر لي: غضب حبيبك، ورضي عدوُّك ـ أي: الشيطان ـ وهلك عبدك.

اللهم إنّ العرب الكرام إذا مات منهم سَيِّد أعتقوا على قبره، وإن هذا سيد العالمين فأعتقني على قبره، صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً.

قال الأصمعي: فقلت: يا أخا العرب إنّ الله تعالى قد غفر لك وأعْتقك بحسن هذا السؤال. اهـ

اللهم اغفر لنا وارحمنا، وأعتقنا من النار، بجاه حبيبك المعظم صلى الله عليه وآله وسلم وكرامته عليك ـ آمين.

ويرحم الله تعالى القائل:

---

(١) كما في (شرح المواهب).

إن الملوك إذا شابتْ عبيدهمُ في رقِّهم أعتقوهم عتق أحرار
وأنتَ يا سيدي أولى بذا كرماً قد شبتُ في الرِقِّ فأعتقني من النار
اللهم آمين

وقد نقل العلماء المحققون: ما وقع للحافظ أبي بكر ـ مسند أصبهان، والحافظ الطبراني، والحافظ أبي الشيخ، من أَنّه نزلت بهم فاقة وهم في المدينة المنورة بأنواره صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فجاء الأول إلى القبر الشريف، على مُشَرِّفه أفضل الصلاة وأكمل التسليم، وشكا الجوع؛ فقال له الحافظ الطبراني إجلس: إما الرزق أو الموت، فلم يَلبثوا أَن جاءهم رجل من آل البيت ـ عليهم السلام ـ بشيء كثير ـ أي: من الطعام ـ مع غُلامين له، وأخبرهم أنه رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يأمره أن يحمل إليهم شيئاً ـ أي: من الطعام الكثير.

قال الحافظ السيوطي في كتابه (الحاوي): وفي بعص المجاميع:

حج سيدي أحمد الرفاعي رضي الله عنه، فلما وقف تُجاه الحجرة الشريفة أنشد يقول:

في حالة البعد روحي كنت أرسلها تقبل الأرض[1] عني وهي نائبتي
وهذه دولة الأشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فخرجت اليد الشريفة من القبر الشريف فَقَبَّلَها. اهـ

صلى الله عليه وعلى آله وسلّم تسليماً كثيراً، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله العظيم.

وهذه كرامة لسيدي الإمام الشيخ أحمد الرفاعي رضي الله عنه،

---

(١) أي: أرض قبره الشريف صلى الله عليه وآله وسلم.

والله سبحانه وتعالى يُكرم أولياءه بما شاء من أنواع الكرامات.

وقد ذكرت جملة من الأدلة على ثبوت وحَقِّيَّة كرامات الأولياء في كتاب (التقرب) وغيره فارجع إليها.

وإنَّ قصة تقبيل اليد الشريفة الواردة عن سيدي أحمد رضي الله عنه هي ثابتة بالأسانيد؛ وقد ذكرها عدة من العلماء الذين صنفوا في بيان مناقبه وترجمته رضي الله تعالى عنه؛ وعن أولياء الله تعالى أجمعين.

ونقل في (الحاوي) عن الحافظ مُحب الدين ابن النجار في (تاريخه) بسند متصل، عن أبي الفرج: المبارك بن عبد الله قال: حكى شيخنا أبو نصر: عبد الواحد بن عبد الملك بن محمد بن أبي سعيد الصوفي الكبير قال: حججت وزرتُ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فبينما أنا جالس عند الحجرة إذ دخل الشيخ أبو بكر الديارَ بكري، ووقف بإزاء المواجهة الشريفة وقال: السلام عليك يا رسول الله، فسمعت صوتاً من داخل الحجرة: وعليك يا أبا بكر؛ وسمعه من حضر. اهـ

ونقل في (الحاوي) بالسند المتصل: أن السيد نور الدين؛ والد الشريف عفيف الدين لما ورد إلى الروضة الشريفة وقال: السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، سمع مَنْ كان بحضرته قائلاً من القبر الشريف: وعليك السلام يا ولدي. اهـ

العلامة الخامسة:

من العلامات الدّالة على صدق المحبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، هي: محبة أهل بيته الأطهار، وقرابته الكرام: قال الله تعالى: ـ مثنياً عليهم ـ ﴿ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ

ٱلرِّجۡسَ أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ وَيُطَهِّرَكُمۡ تَطۡهِيرٗا﴾.

ففي هذه الآية الكريمة دليل قاطع، على أنَّ أهل بيته صلى الله عليه وعلى آله وسلم لهم إكرام من الله تعالى خاصٌّ بهم، ولذلك خَصَّهم بالخطاب والنداء فقال: ﴿أَهۡلَ ٱلۡبَيۡتِ﴾ رضي الله عنهم وعنَّا بهم ـ آمين.

روى الترمذي وحسنه، والحاكم وصححه[١]، عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أحبُّوا الله لما يغذوكم به من نعمه، وأحبوني بحب الله[٢]، وأحبوا أهل بيتي بحبي» أي: بسبب حبي لهم.

وفي رواية: «وأحبوني لحب الله ـ أي: لحب الله إيَّاي ـ وأحبوا أهل بيتي» أي: لحبي إياهم[٣].

وروى الترمذي عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما قال: رأيت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وحسن وحسين على وركيه؛ فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «هذان ابناي، وابنا بنتي، اللهمَّ إني أحبُّهما فأحبَّهما، وأحبَّ من يحبُّهما».

وروى الترمذي عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَن أحبَّني وأحبَّ هذين ـ وأشار إلى الحسن والحسين عليهما السلام ـ وأباهما ـ أي: سيدنا

---

(١) وأقره الذهبي كما في (شرح المواهب).
(٢) أي: بسبب حب الله تعالى لي.
(٣) انظر (المواهب) و(الجامع الصغير).

علياً رضي الله عنه ـ وأمهما ـ السيدة فاطمة الكبرى عليها السلام ـ كان معي في الجنة»[1] .

فعلامة حب العبد لله تعالى حبُّه لحبيب الله رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعلامة حب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حب أهل بيته الكرام، وإن حبهم فيه السلامة والنجاة، وإنّ بغضهم فيه الدمار والهلاك.

أخرج أبو يعلى والبزار والحاكم، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «ألا إنّ مَثَل أهل بيتي فيكم مثل سفينة نوح، من ركبها نَجا، ومن تخلَّف عنها غرق» ـ كما في (الخصائص الكبرى).

ومن المعلوم أنَّ أشرف الأنساب وأنفسها، وأطهرها وأفضلها، وأطيبها وأزكاها، وأمجدها وأعلاها، والجوهر العالي على جميع الأجناس، والذي فاق جميع أنساب الناس؛ ذلك هو نسب السبطين الجليلين الكريمين: سيدنا الحسن وسيدنا الحسين عليهما السلام والرضوان، ابني السيدة الكبرى فاطمة الزهراء عليها السلام، سيدة نساء العالمين، بنت سيدنا ومولانا وقرة أعيننا وروح أرواحنا، إمام الأنبياء والمرسلين، وأكرم الأولين والآخرين على رب العالمين، حبيب الله تعالى الأعظم، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً كثيراً كثيراً أبداً أبداً أبداً، صلاة تليق به وبمقامه العظيم، في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله تعالى العظيم، وعلينا معهم أجمعين ـ آمين.

---

(١) وروى الإمام أحمد نحوه، كما في (المواهب وشرحها).

فهنيئاً لمن تَشَرَّف بهذا النسب ونال فخر هذا الحسب.

ورضي الله تعالى عن الإمام الشافعي القائل:

يا آل بيت رسول الله حبكمُ ... فرض من الله في القرآن أنزله
يكفيكم من عظيم الفضل أنكمُ ... من لم يُصلِّ عليكم لا صلاة له

وقال رضي الله عنه أيضاً:

آلُ النبـي ذريعتـي ... وهمـوا إليـه وسيلتـي
أرجـو بهـم أُعطـى غـداً ... بيـدي اليمين صحيفتـي

ويرحم الله تعالى القائل:

وجه الحبيب إذا تبدَّى طالعاً ... يُنسيك حسن محاسن القمرين
قَد زيَّن الدنيا بطلعة وجهه ... والبَضعـة الـزهـراء والحسنين

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ومطهـر ومُعَظَّـمٌ وممجَّـد ... وأتـى كحيـلاً ليلـة الإثنين
محبـوبنـا مـا في البريّـة مثلـه ... قـد عـمَّ نـور جبينـه الكـونين
قـال القـوابـل مـا رأينـا مثلـه ... قد جاء مختوناً كحيل العين
وربى على هذا الوقار معظَّما ... الله أرسلـه إلى الثقلين
صلى بـأمـلاك السمـوات العلى ... وجميعُهـم قـامـوا لـه صفين

صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً

قال عبد الله: ـ غفر الله تعالى له ولوالديه ـ

أولئك ساداتي فجئني بمثلهم ... إذا جمعتنـا يـا أخـيّ المجـامـع
سراة سرى نـور النبـوة فيهمـو ... فنورهمو في الناس بادٍ وساطع

وقال أيضاً:

نور النبوة ساطع في وجههم ... وتفوح منهم ريح مسكٍ أذفرا

هم أَزْهُر بين الأنام تبسَّمت   هم أنجم وهداة خير للورى
يا أهل بيت المصطفى قد نلتُم   الشرف المحتَّم والفخار الأكبرا

رضي الله تعالى عنهم ونفعنا بهم ـ آمين.

روى ابن ماجه والحاكم، عن سيدنا العباس رضي الله عنه، عم سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: كنا نلقى النفر من قريش ـ أي: بعضاً منهم ـ وهم يَتَحدَّثون، فيقطعون حديثهم، فذكرنا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما بالُ أقوام يتحدَّثون، فإذا رأوا الرجلَ من أهل بيتي قطعوا حديثهم، والله لا يَدخل قلبَ رجل الإيمانُ حتى يحبهم لله، ولقرابتي منهم».

ورواه الترمذي ولفظه: ـ كما في (الخصائص الكبرى) و(جامع الأصول) وغيرهما ـ عن المطلب بن ربيعة، أنَّ العباس رضي الله عنه، دخل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم مُغضباً، فقال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما أغضبك»؟

فقال: يا رسول الله أرى قوماً من قريش يتلاقون بينهم بوجوه مسفرة ـ أي: عليها البشاشة والتبسم ـ وإذا لقونا لقونا بغير ذلك، فغضب صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى احْمَرَّ وجهه، وقال: «والذي نفسي بيده: لا يدخل قلبَ رجل إيمانٌ حتى يُحبكم لله ولرسوله» صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

ثم قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أيها الناس من آذى عَمِّي فقد آذاني، وإنَّما عمُّ الرجل صِنوُ أبيه» ـ أي: مثله.

وروى الترمذي وحسنه، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ النبي

صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «العباس عمُّ رسول الله؛ وإن عمَّ الرجل صِنْوُ أبيه».

وعن أمير المؤمنين علي كرم الله تعالى وجهه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «العباس عمي، وصِنوُ أبي، فمن شاء فليباه بعمه»[1].

قال في (النهاية): الصنوُ: المثل ـ أي: هو المثل ـ قال: وأصله أن تَطلع نَخلتان من عرق واحد، يريد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنّ أصل العباس وأصل أبيه واحد، كما قال: «وهو مثل أبي» اهـ.

قال عبد الله: وفي هذا دليل على أَنَّ أبا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو ليس بكافر، بل هو من أهل الجنة الناجين من النار، وذلك لأنَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «العباس صِنو أبي» والصِنو هو المثل، أي: مثل أبي، فهل يتصوَّر العاقل أَنْ يُشبه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم سيدنـا العبـاس عمَّه وهو الصحابي الجليل، هل يَتصور العاقل أن يشبهه بأبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ويكون أبوه من أهل النار؟!..

كلاّ ثم كلا؛ بل الحق الثابت بالأدلة أَنَّ أبوي سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم الشريفين هما ناجيان من النار، وهما من أهل الجنة، وذلك بسبب أَنّ الله تعالى أكرم رسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فأحياهما فآمنا به صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أو بسبب أنهما لم يثبت عن واحد منهما أنه عَبَد الأصنام، بل كانا على

---

(١) رواه ابن عساكر كما في (الجامع الصغير) رامزاً لحسنه.

التوحيد لِما بلغهما من شريعة إسماعيل على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم، أو بسبب أنهما من أهل الفترة، وأهل الفترة ناجون عند جماهير العلماء.

وقد ذكرتُ وجوهاً من الأدلة على نجاة الأبوين الشريفين والسيدين الكريمين، وفصَّلت الكلام على ذلك في كتاب: (هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان) فارجع إليه، تجد ما يَروي الغليل ويشفي العليل، مع الحجة والدليل.

وروى الحاكم وابن حبان في (صحيحه) عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه: (أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يرى للعباس ما يرى الولد لوالده: يُعظمه، ويُفخِّمُه ويبرُّ قسمه)[1].

قال العلامة المناوي عند حديث: «العباس عم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وإنَّ عم الرجل صنو أبيه» قال: ولهذا كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعامِلُه معاملة الوالد، حتى أنه كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا جلس يجلس أبو بكر عن يمينه وعمر عن يساره وعثمان بين يديه، فإذا جاء العباس تَنَحَّىٰ أبو بكر وجلس العباس مكانه، كما أخرجه الدارقطني.

العلامة السادسة:

الدالة على محبة المسلم لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي: محبة أصحابه رضي الله تعالى عنهم:

كما بيَّن ذلك رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

روى الإمام الترمذي، والإمام أحمد في (مسنده) ـ واللفظ له ـ:

---

(١) انظر (الجامع الصغير) و(شرحه).

عن عبد الله بن مُغفل المزني رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «اللهَ اللهَ في أصحابي، الله الله في أصحابي[1]، لا تتخذوهم غَرَضاً[2] بعدي، فمن أحبهم فبحبي أحبهم، ومن أبغضهم فببغضي أبغضهم[3]، ومن آذاهم فقد آذاني، ومن آذاني فقد آذى الله تبارك وتعالى، ومن آذى الله فيوشِكُ أن يأخذه».

رواه بهذا اللفظ الإمام أحمد في (مسنده) في موضعين.

وروى الإمام أحمد في (مسنده) عن جابر بن سمرة رضي الله عنه قال: خطب عمر بالناس في الجابية فقال: (إنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قام في مثل مقامي هذا، فقال: «أحسِنوا إلى أصحابي، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم يحلف أحدهم على اليمين قبل أن يُستحلف عليها، ويَشهد على الشهادة قبل أن يُستشهد، فمن أحب منكم أن ينال بُحبُوحة الجنة فليلزم الجماعة، فإنَّ الشيطان مع الواحد، وهو مع الإثنين أبعد؛ ولا يَخلونَّ رجل بامرأة فإن الشيطان ثالثهما، ومن كان منكم تَسُرُّه حسنته وتسوؤه سيئته فهو مؤمن»)[4] هذا لفظ الإمام أحمد.

---

(١) هكذا أعادها مرتين، والمعنى: اتقوا الله في أصحابي فلا تنقصوهم ولا تسبوهم ولا تحقروهم؛ بل احفظوا لهم كرامتهم وفضلهم.

(٢) أي: لا تتخذوهم هدفاً لكلامكم القبيح فيهم، والطعن فيهم، والذمِّ لهم.

(٣) والمعنى: فمن أحبهم فقد أحبهم بسبب حبه إياي، ومن أبغضهم فقد أبغضهم بسبب بغضه لي ـ فمحبتهم هي دليل محبة رسول الله ﷺ.

(٤) وقد أورده في (المصابيح) بلفظ: «أكرموا أصحابي» وكذا في (كنز =

ورواه الترمذي وصححه عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: خطبنا عمر رضي الله عنه بالجابية فقال: يا أيها الناس إني قمت فيكم كقيام رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فينا، قال: «أوصيكم بأصحابي، ثم الذين يلونهم» الحديث كما في (التيسير).

وجاء في الحديث عن عمران بن الحصين رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

قال عمران: فلا أدري أذكر بعد قرنه قرنين أو ثلاثة؟

«ثم إنّ بعدهم قوماً يشهدون ولا يُستشهدون، ويخونون ولا يؤتمنون، وينذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمن».

زاد في رواية: «ويحلفون ولا يُستحلفون».

قال في (جامع الأصول): أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

قال: وللترمذي أيضاً: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يأتي من بعدهم قوم يَتَسَمَّنُوْن، ويحبون السِّمن، يُعطون الشهادة قبل أن يُسألوها».

أي: يَشهدون ولا يُستشهدون.

قال في (جامع الأصول): وفي رواية أبي داود: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «خير أمتي القرن الذي بُعثت فيهم، ثم

= العمال) و(الفردوس) بلفظ: «أكرموا أصحابي» الحديث، فأمر صلى الله عليه وآله وسلم بإكرامهم والإحسان إليهم.

الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ـ والله أعلم أذكر الثالث أم لا ـ ثم يظهر قوم يَشهدون ولا يُستشهدون، ويَنذرون ولا يُوفون، ويخونون ولا يؤتمنون، ويظهر فيهم السِّمن».

قال وفي رواية النسائي: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «خيركم قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

قال الراوي: فلا أدري أذكر مرتين أو ثلاثاً، ثم ذكر قوماً «يخونون ولا يُؤتمنون، ويَشهدون ولا يُستشهدون، ويَنذرون ولا يوفون، ويظهر فيهم السِّمن».

ومعنى يظهر فيهم السِّمن: قال في (جامع الأصول): يحتمل أَنَّهم يحبون التَّوسُّع في المآكل والمشارب، وهي أسباب السِّمن ـ أي: شأنهم الترف ـ قال في (جامع الأصول): أو: يُحبون جمع الأموال ويفخرون بكثرة المال، ويحبون المال حباً جمّاً، وهو أكبر هَمِّهم، ومبلغ علمهم ـ ونعوذ بالله من ذلك.

وعن ابن مسعود رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم، ثم يجيء قوم تَسبق شهادة أحدهم يمينه، ويمينه شهادته».

قال في (جامع الأصول): أخرجه البخاري ومسلم والترمذي.

قال: وأراد بالقرن أصحابه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

يعني أَنّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أراد بقوله: «قرني» أي: أصحابه فهم خير القرون، وهم خير الناس، كما جاء في رواية: «وهم خير هذه الأمة» وكما جاء في رواية: «خير أمتي» ومن

المعلوم أَنَّ هذه الأمة خير الأمم قال تعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ﴾ الآية.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «خير أمتي القرن الذي بُعثتُ فيهم».

وفي بعض روايات مسلم: «خير أمتي القرن الذي بُعثت فيه، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم» ـ والله أعلم أذكر الثالث أم لا، قال: «ثم يخلف قوم يحبون السمانة، يشهدون قبل أن يُستشهدوا».

فأصحابه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، خير هذه الأمة، وهذه الأمة المحمدية هي خير الأمم كلها، قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أنتم تُتِمُّوْن ـ وفي رواية: «توفون»ـ سبعين أمة، أنتم خيرها، وأكرمها على الله تعالى» كما في الترمذي و(المسند) وغيرهما.

وروى الشيخان عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يأتي على الناس زمان يغزو فيه فئام من الناس ـ أي جماعة من الناس المسلمين يغزون، ويقاتلون أعداءهم من الكفار ـ فيقولون: هل فيكم مَنْ صاحب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم ـ أي: فيفتح الله لهم وينصرهم على أعدائهم بسبب ذلك الصحابي ـ.

ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام ـ أي: جماعة ـ من الناس فيقال: هل فيكم مَنْ صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم.

ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس ـ أي: المسلمين ـ

فيُقال: هل فيكم مَنْ صاحب مَنْ صاحب أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟ فيقولون: نعم، فيُفتح لهم» أي: فينصرهم الله تعالى على أعدائهم.

وعن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا تسبُّوا أصحابي، فلو أَنَّ أحداً أنفق مثل أُحد ذهباً؛ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه».

قال في (جامع الأصول): رواه البخاري ومسلم وأبو داود، والترمذي وزاد فيه: «فو الذي نفسي بيده لو أنفق أحدكم» الحديث.

وروى مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لا تَسُبُّوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أَنَّ أحدكم أنفق مثل أُحد ذهباً؛ ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نصيفه» وذلك لقوة إيمانهم، وصدقهم وإخلاصهم.

قال في (جامع الأصول): المُدُّ: ربع الصاع، والنصيف نصف المُدِّ؛ والتقدير: ما بلغ هذا القدر اليسير من فضلهم ولا نصفه اهـ.

وعن بُريدة رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما من أحد مِنْ أصحابي يموت بأرض إلاَّ بُعث لهم ـ أي: لأهل تلك الأرض ـ نوراً وقائداً يوم القيامة» أخرجه الترمذي كما في (جامع الأصول)، ورواه الضياء المقدسي كما في (الفتح).

☆ ☆ ☆

إعـلانُ الله تعـالى شهادته
بأن محمداً رسول الله صـلى الله عليه وعلى آله وسلم
وثنـاؤه سبحانه على أصحابه رضي الله عنهم

قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلۡكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيۡنَهُمۡۖ تَرَىٰهُمۡ رُكَّعٗا سُجَّدٗا يَبۡتَغُونَ فَضۡلٗا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضۡوَٰنٗاۖ سِيمَاهُمۡ فِي وُجُوهِهِم مِّنۡ أَثَرِ ٱلسُّجُودِۚ ذَٰلِكَ مَثَلُهُمۡ فِي ٱلتَّوۡرَىٰةِۚ وَمَثَلُهُمۡ فِي ٱلۡإِنجِيلِ كَزَرۡعٍ أَخۡرَجَ شَطۡـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسۡتَغۡلَظَ فَٱسۡتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعۡجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلۡكُفَّارَۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنۡهُم مَّغۡفِرَةٗ وَأَجۡرًا عَظِيمَۢا﴾.

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ في هذا إعلان شهادته سبحانه بأنَّ سيدنا محمداً هو رسول الله حقاً، وقد أعلن هذه الشهادة وسجَّلها في جميع كتبه التي أنزلها على رسله صلوات الله تعالى وسلامه عليه وعليهم، وسجَّل ذلك في آياته المتلوَّة التدوينية، وكما سجَّلها في جميع صفحات آياته التكوينية: السماوية والأرضية، وجميع العوالم المرئية والغيبية، والعرشية والعلوية، ولذلك جاءت هذه الجملة، وهي قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ جاءت مُبيِّنَةً للآية قبلها وهي قوله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ شَهِيدٗا مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾[1] صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

---

(١) وهذا من باب الاستئناف البياني، ولذلك لم يُؤتَ بأداة العطف كما هو معلوم في علوم البلاغة.

وقد أعلن الله تعالى شهادته بأن سيدنا محمداً هو رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أعلن ذلك في جميع كتبه التي أنزلها على رسله صلوات الله تعالى عليه وعليهم: قال الله تعالى: ﴿ ٱلَّذِينَ يَتَّبِعُونَ ٱلرَّسُولَ ٱلنَّبِيَّ ٱلْأُمِّيَّ ٱلَّذِي يَجِدُونَهُۥ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ وَٱلْإِنجِيلِ يَأْمُرُهُم بِٱلْمَعْرُوفِ وَيَنْهَىٰهُمْ عَنِ ٱلْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ ٱلْخَبَٰٓئِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَٱلْأَغْلَٰلَ ٱلَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ۚ فَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِهِۦ وَعَزَّرُوهُ ﴾ ـ أي: عظموه ـ ﴿ وَنَصَرُوهُ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلنُّورَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ مَعَهُۥٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴾.

روى البخاري وغيره عن عطاء بن يسار قال: لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، فقلت: أخبرني عن صفة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في التوراة.

فقال: أجل، والله إنّه لموصوف في التوراة[١] ببعض صفته في القرآن: «يا أيها النبي إنا أرسلناك شاهداً ومبشراً ونذيراً» الحديث.

وروى الترمذي وغيره وحسنه الترمذي، قال: عن عبد الله بن سلام[٢] رضي الله عنه قال: (مكتوب في التوراة صفة محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعيسى ابن مريم يدفن معه).

قال أبو مودود المدني: قَد بقي في البيت موضع قبر ـ أي: بقي في الحجرة الشريفة موضع قبر ـ يدفن فيه عيسى ابن مريم، ـ أي:

---

(١) وكان عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قد قرأ التوراة، واطلع على ما جاء فيها من صفات رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي وصفه الله تعالى بها.

(٢) وكان عبد الله بن سلام من كبار علماء اليهود ثم أسلم وحَدَّث بذلك.

بعدما يَنزل من السماء إلى عالم الأرض، ويقوم بنشر دين رسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ونَشر شريعته، ويقتل الدجَّال الذي يظهر في آخر الزمان، فبعد ذلك يتوفَّاه الله تعالى توفية الموت، ويُدفن في الحجرة الشريفة على نبينا وعليه أفضل الصلاة وأكمل التسليم.

وروى أبو داود عن أبي موسى رضي الله عنه قال: سمعتُ النجاشي صاحب الحبشة ـ أي: ملك الحبشة ـ رحمه الله تعالى يقول: أشهد أنَّ محمداً رسول الله، وأنَّه الذي بَشَّر به عيسى عليه السلام.

قال النجاشي: ولولا ما أنا فيه من الملك، وما تحمّلتُ من أمور الناس لأتيته ـ أي: لأتيت محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ حتى أحمل نعليه.

أي: أكون خادم نعليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال ذلك حين جاءه الكتاب من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يدعوه فيه إلى الإسلام، فأعلن إيمانه برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولكن لقيامه بتدبير أمور رعيته، وتوليه مصالحهم، واشتغاله بذلك، لم يتمكن من الإتيان إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لأنَّهم كانوا في حالة لو تركهم لفسد أمرهم.

وقد أرسل إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، يخبره بشهادته أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وإيمانه به، ونعاه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أي: أخبر بموته يوم توفي، وصلى عليه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في المدينة.

قال الحافظ ابن حجر في (الإصابة): وأخرج أصحاب الصحيح قصة صلاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم عليه ـ أي: على النجاشي ـ صلاة الغائب، من طرق منها عن جابر قال: (لما مات النجاشي قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «قد مات اليوم عبد صالح، يُقال له: أصحمة، فقوموا فصلوا على أصحمة» فصففنا خلفه صلى الله عليه وآله وسلم.

ورواه الدارقطني بإسناده عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (أصبحنا ذات يوم عند رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال: «إنَّ أخاكم أصحمة النجاشي قد تُوفي، فصلُّوا عليه».

فوثب رسول الله صلى الله عليه وسلم ووثبنا معه، حتى جاء المصلَّى فقام، فصففنا وراءه، فكبَّر أربع تكبيرات)[1].

وروى أبو داود عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (لما مات النجاشي رحمه الله تعالى، كُنَّا نتحدَّث أنَّه لا يزال يُرَى على قبره نور)[2].

فالله تعالى أعلن شهادته بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جميع الكتب الإلَهية السابقة: التوراة والإنجيل وغيرهما.

روى البيهقي وأبو نعيم، عن أم الدرداء امرأة أبي الدرداء رضي الله عنه قالت: قلت لكعب ـ الأحبار ـ: كيف تجدون صفة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في التوراة؟

---

(١) انظر (الإصابة) (وشرح المواهب).

(٢) كما في (التيسير) وغيره.

قال: كنا نجده موصوفاً فيها: «محمد رسول الله، اسمه المتوكِّل، ليس بفظٍّ ولا غليظ، ولا صخَّاب في الأسواق، وأُعطي المفاتيح، ليبصِّر الله تعالى به أعيناً عُمياً، ويُسمع به آذاناً صُمّاً، ويقيم به السنة المعوجَّة، حتى يشهدوا أَنْ لا إلَه إلا الله وحده لا شريك له، يُعين المظلوم ويمنعه» ـ أي: يحفظه من أن يُستضعف فينصره على من ظلمه، ويوصل إليه حقه[١].

ورضي الله تعالى عن سيدنا حسان بن ثابت القائل في وصفه لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

متى يبدُ في الليل البهيم جبينه ... يَلُح مثل مصباح الدُّجى المتوقِّد
فمن كان أو مَنْ قد يكون كأحمدٍ ... نظاماً لحقٍ أو نكالاً لملحد

وقد أعلن الله تعالى شهادته بأنَّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم في آياته التكوينية، وذلك فيما أجراه سبحانه وتعالى من المعجزات التي جعلها الله تعالى آيات دالة على صدق رسوله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأيّده بها، وجعلها حُجَّةً على من أنكر رسالته صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

فمنها المعجزات السماوية: كانشقاق القمر، وإمطار المطر فور دعائه، قبل أن يضع يديه من الدعاء، وبقي يمطر أسبوعاً حتى دعا بإمساكه فأمسكه الله تعالى؛ فَور دعائه، **ومنهاالمعجزات الأرضية**: كالشجرية، والطعامية، والمائية، والجمادية.

وشهادة الحيوانات البهيمية بأن محمداً رسول الله صلى الله عليه وسلم.

---

(١) كذا في (الخصائص) و(الدر المنثور) وغيرهما.

ومنها المعجزات السمعية والبصرية: فكان يَرى ما لا يَرى غيره، ويَسمع ما لا يسمع غيره من العوالم العلوية والسفلية، والعوالم الشهودية والغيبية، الماضية والآتية، والمُلكية والملكوتية؛ إلى ما هنالك.

ومن معجزاته إسراؤه إلى بيت المقدس، ومعراجه إلى السماوات العلى، وإطلاعه على ما أودع الله تعالى فيها، واجتماعه بالأنبياء فيها، إلى سدرة المنتهى، إلى مُستوى سمع فيه صريف الأقلام، إلى عالم العرش وتخصيصه ليلة المعراج برؤيته ربَّ العزة جل وعلا، واطلاعه على جميع العوالم، كما جاء ذلك في أحاديثه صلى الله عليه وعلى آله وسلم عن المعراج.

وهكذا معجزاته صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي شهيرة كثيرة، تحتاج إلى مصنفات كبيرة وكثيرة.

فجميع الكائنات تشهد أن محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، إلاّ كفرة الجن والإنس فإنَّهم جحدوا ذلك بعد أن علموا صدق رسالته، الثابتة بالأدلة الساطعة، والبراهين القاطعة، وجحودهم ناشيء عن كِبر وعناد.

قال الله تعالى: ﴿فَإِنَّهُمْ لَا يُكَذِّبُونَكَ وَلَٰكِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ يَجْحَدُونَ﴾.

والمعنى: أَنهم يعلمون أَنَّك صادق ولستَ بكاذب، ولكنهم يجحدون ويُنكرون، فهم ظالمون ينكرون الحق بعدما تبين لهم، وعرفوا أَنَّه الحق؛ كبراً وعناداً.

ومن المعلوم أَنَّ العنيد كالحديد لا يُلينه إلا النار ـ نعوذ بالله تعالى العظيم.

روى الترمذي وحسنه، عن أمير المؤمنين علي رضي الله عنه قال: (كنت مع النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمكة، فخرجنا في بعض نواحيها، فما استقبله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حجر ولا شجر إلا وهو يقول: السلام عليك يا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

قال الحافظ الزرقاني. ورواه الدارمي والحاكم وصححه.

وروى البزار وأبو نعيم عن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لما أُوحي إليَّ جعلتُ لا أمر بحجر ولا شجر إلا قال: السلام عليك يا رسول الله».

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: (جاء أعرابي إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال له: بِمَ أعرف أنّك رسول الله؟. قال: «أن أَدْعو هذا العِذق من النخلة، فيشهد لي أَنِّي رسول الله».

فدعاه النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فجعل العِذق ينزل من النخلة، حتى سقط إلى رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وقال له: السلام عليك يا رسول الله.

ثم قال له رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إرجع إلى موضعك» فعاد ـ العِذق ـ إلى موضعه والتأم ـ أي: اتصل بالشجرة كما كان ـ فأسلم الأعرابي) رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح كما في (التيسير).

فجميع الجمادات والنباتات، والأشجار والأحجار، والبهائم والحيوانات، تشهد أَنَّ سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وجميع ذلك جاء في أحاديث معجزاته صلى الله عليه

وعلى آله وسلم، بل إنَّ جميع أنواع العوالم، وجميع الأشياء تشهد أَنَّ سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

روى الطبراني عن يعلى بن مُرَّة، أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ما مِنْ شيء إلاَّ يعلم أنِّي رسول الله، إلاَّ كفرة الجن والإنس»[1].

وعن جابر رضي الله عنه قال: أقبلنا مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم حتى دفعنا إلى حائط ـ أي: دخلنا في بستان ـ في بني النجار، فإذا فيه جمل لا يدخل الحائط أحد إلاَّ شدَّ عليه ـ أي: هجم عليه الجمل ـ فذكروا ذلك للنبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأتاه، فجاء ـ الجمل ـ واضعاً مشفره على الأرض، حتى برك بَيْن يديه صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «هاتوا خطاماً» فخطمه، ودفعه إلى صاحبه، ثم التفت صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «ما بين السماء إلى الأرض أحد إلا يعلم أَنِّي رسول الله إلا عاصِيَ الجن والإنس»[2].

فلقد جاء صلى الله عليه وعلى آله وسلم بأنواع من البينات، وأنواع من المعجزات الدالة على صدقه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأنَّه رسول الله حقاً إلى جميع العالمين، ولذلك كانت معجزاته أنواعاً متنوعة، وبيِّنات صدقه أدلَّة قاطعة، لتقوم حجة الله تعالى على جميع أصناف العالمين، فهو حجة الله تعالى العظمى، وبينة

---

(١) كما في (الجامع الصغير) رامزاً لصحته.

(٢) رواه الدارمي وغيره.

الله تعالى الكبرى، ومن ثَمَّ وصفه الله تعالى بأنَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم البيِّنة، قال الله تعالى: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْ أَهْلِ ٱلْكِتَـٰبِ وَٱلْمُشْرِكِينَ مُنفَكِّينَ حَتَّىٰ تَأْتِيَهُمُ ٱلْبَيِّنَةُ ۝١ رَسُولٌ(١) مِّنَ ٱللَّهِ يَتْلُوا۟ صُحُفًا مُّطَهَّرَةً ۝٢ فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ البينة الجامع لكل بينة.

جميع الأنبياء وأممهم التابعة لهم يشهدون أن سيدنا محمداً رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَـٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَـٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى﴾ ـ أي: عهدي وميثاقي ـ ﴿قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّـٰهِدِينَ﴾.

قال سيدنا علي أمير المؤمنين رضي الله عنه، وابن عمه ابن عباس رضي الله عنهما: ما بعث الله نبياً من الأنبياء إلا أخَذَ عليه الميثاق: لئن بعث الله محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو حيٌّ ليؤمنن به ولينصرنه، وأمره ـ أي: أمر الله تعالى كل نبي ـ أَنْ يأخذ الميثاق على أمته، لئن بعث الله محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهم أحياء ليؤمِنُنَّ به ولينصُرنه، وذلك باتباعه والعمل بما جاءهم به صلى الله عليه وعلى آله وسلم ومناصرته على أعدائه.

ولذلك جاء في الحديث الذي رواه أبو يعلى وغيره، عن جابر

---

(١) هذا بدل من البينة بدل مطابق، أو خبر لمحذوف تقديره: هي رسول والتنوين فيه للتفخيم والتعظيم، والمراد به رسولنا سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «والله لو كان موسى حيّاً بين أظهركم؛ ما حلَّ له إلا أن يتبعني» الحديث كما في (تفسير) ابن كثير وغيره.

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم الإمام الأعظم، ورسول الله تعالى الأكرم، إمام الأنبياء والمرسلين في جميع العوالم في الدنيا والآخرة، ولذلك كان إمامَهم ليلة الإسراء لما اجتمعوا في بيت المقدس، كما ثبت في الصحاح، وهو إمامهم يوم القيامة:

جاء في الحديث الذي رواه سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إذا كان يوم القيامة كنتُ أنا إمام النبيين، وخطيبهم، وصاحبَ شفاعتهم غير فخر»[١].

أي: يقول ذلك تحدُّثاً بنعمة الله تعالى، الذي قال له: ﴿ وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴾.

ويرحم الله تعالى القائل:

أيا قمراً في مطلع الحسن دائب ويا شمس حسن مالها قطُّ حاجب

ويا سيداً منه العُلا والمواهب إليكَ وإلاَّ لا تُشدُّ الركائب

وعنك وإلاَّ فالمحدِّث كاذب

إذا شرب العُشَّاق من كل مشرب وهاموا غراماً في سليمى وزينب

فإنَّ غرامي فيك يا أيها النبي وحبُّك يا خير النبيين مذهبي

وللناس فيما يعشقون مذاهب

صلى الله عليه وعلى آله وسلم تسليماً.

---

(١) رواه الإمام أحمد، والترمذي وابن ماجه، والحاكم كما في (الجامع الصغير) رامزاً لصحته.

قوله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِۚ﴾ في هذه الآية الكريمة إلزام وإفحام، وحجة قاطعة؛ على من ينكر رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ويزعم أَنَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كاهن أو ساحر، أو شاعر أو مفترٍ، وإنما هو رسول الله حقاً، يستحيل أن يكون كما زعمه المنكرون لرسالته صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وبيان ذلك: أن المنكر لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم إما أَنْ يكون مؤمناً برسالة أَحدٍ من الرسل قبله، وإما أن يكون منكراً لجميع رسالات الرسل صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين.

فيقال لمن ينكر رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولكن يَزعم أَنَّه يؤمن بالرسل قبله، أو ببعضهم كسيدنا إبراهيم، أو سيدنا موسى، أو سيدنا عيسى، أو غيرهم من الرسل صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين.

يقال له: بماذا ثبت عندك أَنَّ إبراهيم، أو موسى، أو عيسى هم رسل الله تعالى؟

فإن قال: ثبت ذلك عندي بإنزال الله تعالى الكتاب عليهم، فأنزل الله تعالى على إبراهيم صحفاً، وعلى موسى التوراة، وعلى عيسى الإنجيل، وعلى داود الزبور.

فيقال له: نَعمْ لقد أنزل الله تعالى عليهم ذلك، وقد أنزل الله تعالى على سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم كتاباً أعظم من تلك الكتب كلها، وأجمع منها، وقد ذكر الله تعالى فيه كل شيء كما

قال: ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ﴾، وفيه تبيان كل شيء، كما قال تعالى: ﴿تِبْيَٰنًا لِّكُلِّ شَيْءٍ﴾.

وفيه الإخبار عن كل شيء، مما مضى وما هو آتٍ، وقد جاء هذا الكتاب النازل عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، جاء معجزاً مع التحدِّي لجميع العالم، والإنس والجن، وبالمقارنة بين هذا الكتاب النازل عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم وبين بقية الكتب النازلة على الرسل قبله؛ يَتبيَّن فضل هذا الكتاب القرآني على جميع تلك الكتب قبله، وأنَّه هو المهيمن عليها.

فالواجب عليكم إذاً أن تؤمنوا برسول الله سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من باب أولى وأحقُّ وأجدر، وإنّ الحق الذي لا ريب فيه هو كما قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾ صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وإن قال المنكر لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم: إنّ رسالة إبراهيم الخليل، وموسى الكليم، وعيسى ابن مريم عليهم السلام ثبتت بالمعجزات، وخوارق العادات، التي أيَّدهم الله تعالى بها.

قلنا في الجواب: نعم، إنَّ ذلك حق؛ ولكن الله تعالى قد أيّد سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم بمعجزات أكثر، وأكرمه بخوارق للعادات أكبر وأعم وأشهر، فاقت على جميع معجزات الرسل قبله: منها ما هو مذكور في القرآن الكريم، ومنها ما جاء في الأحاديث المتواترة، والمشهورة بالأسانيد المتصلة، وقد صُنِّفت فيها الكتب الواسعة الكبرى، وهي أنواع متعددة، **فالواجب** إذاً الإيمان

برسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم من باب أولى وأحق[١].

فهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم كما قال الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ﴾، لا كما يقول الجاحدون لرسالته، الثابتة بالبراهين القطعية، اليقينية، التي لا ريب فيها، ويستحيل نقضها.

وأما المنكر لرسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ولجميع رسالات الرسل ـ صلوات الله تعالى وسلامه على نبينا وعليهم أجمعين ـ فيقال له: كيف تنكر رسالة سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهذه المعجزة الكبرى أمامك، وهي القرآن العظيم، للأولين والآخرين، والذي يتحدَّى جميع العلماء والحكماء والفصحاء والعقلاء؛ إلى يوم الدين، يتحدَّاهم أن يأتوا ولو بسورة مثله؛ فلم يستطيعوا؛ ولن يستطيعوا.

وقد أعلن الله تعالى عجز الإنس والجن عن أن يأتوا بمثله، ولو تعاون الإنس و الجن واجتمعوا على ذلك كلهم أجمعون.

قال الله تعالى: ﴿قُل لَّئِنِ ٱجْتَمَعَتِ ٱلْإِنسُ وَٱلْجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأْتُوا۟ بِمِثْلِ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِۦ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾.

فسجَّل عجزهم عن الإتيان بمثله: على مدى الزمان وتتابع العصور والأمم والأجيال، وتسجيل عجزهم عن الإتيان بمثله هو أعظم في التحدي وأشد وأقوى.

والكلام على بيان وجوه الإعجاز صنف العلماء المتقدمون فيه

(١) انظر كتاب (هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان) تجد التفصيل، وكتاب (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان).

كتباً متنوعة واسعة، جزاهم الله تعالى خيراً، ومع ذلك لم يُحيطوا بوجوه إعجاز القرآن الكريم، فإنَّ من جملة إعجاز القرآن العجز عن الإحاطة بوجوه إعجازه، وإنَّما ذكر العلماء وجوهاً من الإعجاز، كلٌّ تكلم على حسب علمه واطلاعه ـ جزاهم الله تعالى خيراً.

وقد ذكرت جملة موجزة حول بعض وجوه الإعجاز في كتاب: (هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان)، وكتاب: (هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان) وغيرهما، ذكرت فيها أطرافاً مختصرة حسب المناسبة، فارجع إليها تنتفع إن شاء الله تعالى.

وقد بين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أَنَّ أكبر معجزة خصَّه الله تعالى بها، شاهدة بأنه رسول الله تعالى، وخاتم النبيين، وحجة قائمة على جميع المنكرين لرسالته والمكذبين، وهي محفوظة باقية إلى يوم الدين، لا يعتريها تبديل ولا تحريف، ولا زيادة ولا نقصان، ولا تتغيَّرُ على مدى الأزمان لأنها محفوظة بحفظ ربِّ العالمين، تلك المعجزة هي هذا القرآن الكريم.

روى الشيخان[1] عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما من نبي من الأنبياء إلا وأعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أُوتيتُه وحياً أوحاه الله تعالى إليَّ، فأرجو أَن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

فكل نبي أعطاه تعالى من المعجزات، ما يَدلُّ البشر على صدق نبوته، وتقوم به الحجة على أنَّه نبي الله تعالى حقاً، فيؤمنون به.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وإنّما كان الذي أُوتيتُه»

---

(١) كما في (التيسير) وغيره.

أي: خصني الله تعالى به، فوق المعجزات الخارقة للعادة «وحياً» أي: وحياً قرآنياً خاصّاً، معجزاً محفوظاً؛ بحفظه تعالى، باقياً إلى يوم الدين، لا يعتريه تحريف ولا تبديل، ولا زيادة ولا نقص.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وإنّما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إليّ» أي: ما آتى سبحانه لأحدٍ من الأنبياء مثله في إعجازه، وتكفُّله سبحانه بحفظه، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا ٱلذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ﴾.

وأما الكتب الإلَهية النازلة قبل هذا القرآن الكريم، فلم يتكفل سبحانه وتعالى بحفظها، وإنّما وكَلَ حفظها بعد وفاة الرسل النازلة عليهم ـ وكَلَ حفظها إلى علماء تلك الأمة، كما قال الله تعالى: ﴿بِمَا ٱسْتُحْفِظُوا۟ مِن كِتَٰبِ ٱللَّهِ وَكَانُوا۟ عَلَيْهِ شُهَدَآءَ﴾ الآية، فما استطاعوا أن يحفظوها بل جرى عليها التبديل والتحريف والزيادة والنقص.

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «وإنّما كان الذي أُوتيته وحياً أوحاه الله تعالى إليّ، فأرجو أن أكون أكثرهم تابعاً يوم القيامة».

ولا شك أَنَّ رجاءه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو محقق الوقوع، فإن أتباع سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم أكثر من جميع أتباع الرسل، كما جاء في الحديث عن بُريدة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أهلُ الجنة عشرون ومائة صف، ثمانون منها من هذه الأمة» ـ أي: الأمة المحمدية ـ «وأربعون من سائر الأمم»(١).

---

(١) كذا في (الجامع الصغير) وبَيَّن أنه رواه أحمد والترمذي، وابن حبان، =

فمن خصائص هذا القرآن الكريم، أنَّه محفوظ من التبديل والتغيير، بحفظ الله تعالى، وأنه باقٍ إلى يوم القيامة، حجة على العالمين، لأنه أُنزل على خاتم النبيين، الذي أرسله الله تعالى إلى جميع القرون والأمم الآتية إلى يوم الدين.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ أَيُّ شَيْءٍ أَكْبَرُ شَهَادَةً قُلِ اللَّهُ شَهِيدٌ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ الآية.

أي: لينذر به من كان في عصره، وينذر به مَنْ بلغه هذا القرآن إلى يوم الدين، ولذلك تكفَّل الله تعالى بحفظه وإبقائه حجة على العالمين، وبلاغاً إلى يوم الدين.

جاء عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَنْ بَلغه القرآن فكأنما شافهتُه به»، ثم قرأ: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾[1].

وعن محمد بن كعب القرظي في قوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَٰذَا الْقُرْآنُ لِأُنذِرَكُم بِهِ وَمَن بَلَغَ﴾ قال: مَنْ بلغه القرآن فكأنما رأى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ أي: وبلَّغه.[2]

وأخرج ابن جرير وأبو الشيخ من طريق قتادة عن الحسن، أَنَّ

= والحاكم عن بريدة رضي الله عنه، ورواه الطبراني عن ابن عباس وابن مسعود وعن أبي موسى رضي الله عنهم، ورمز لصحته.

(١) عزاه في (الدر المنثور) إلى ابنِ مردويه وأبي نعيم والخطيب.

(٢) رواه ابن أبي شيبة وابن الضريس، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم، وأبو الشيخ كلهم عن محمد بن كعب القُرظي كما في (الدر المنثور).

النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يا أيها الناس بَلِّغوا[(١)] ولو آية من كتاب الله تعالى، فمن بلغته آية من كتاب الله فقد بلغه أمر الله؛ أخذها أو تركها».

ومن خصائص هذا القرآن الكريم أَنّ أهل الجنةِ يقرؤونه في الجنة، وأن الله تعالى يتلوه على أهل الجنة:

روى الترمذي وغيره عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يقال لصاحب القرآن إقرأ وارقَ، ورتِّل كما كنت ترتّل في الدنيا، فإنَّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها».

وأخرج أبو الشيخ عن محمد بن كعب القرظي قال: كأن الناس ـ أي: المؤمنين ـ لم يسمعوا القرآن قبل يوم القيامة حين يتلوه الله تعالى عليهم ـ يعنى: أن المؤمنين حين يسمعون القرآن في الجنة من الله تعالى كأنّهم ما سمعوه من قبل حين كانوا في الدنيا.

وقد ذكرت في كتابي (حول تفسير الإخلاص والمعوذتين) ذكرت هنالك أَنَّ من أكبر نعيم أهل الجنة سماعهم تلاوة القرآن من الله تعالى، ذي العزة والجلال، وذكرت هناك الأدلة الواردة في ذلك فارجع إليها.

وهذا يدلك على بَقاء القرآن أبداً لا انتهاء له، وعلى دوام ثواب تلاوته، بدليل ما تقدم في الحديث: «يقال لصاحب القرآن» ـ أي:

---

(١) أي: بلغوا عني ولو آية، كما جاء في (صحيح) البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «بلِّغوا عني ولو آية» الحديث.

في الجنة ـ «إقرأ وارق» ـ أي: ارق في المنازل العالية ـ «فإنّ منزلتك عند آخر آية تقرؤها»، فهو لا يزال يقرأ ويرقى في المنازل ، فثواب تلاوته، لا ينقطع أبداً.

ونسأل الله تعالى أَن يجعلنا منهم بجاه حبيبه الأكرم سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

أنتبه :

دقّات قلب المرء قائلة له ... إنَّ الحياة دقائق وثواني
فاعمل لنفسك قبل موتك ذكرها ... فالذكر للإنسان عمر ثاني

* * *

إذا كان رأس المال عمرك فاحترس ... عليه من الإنفاق في غير واجب

لا تغرنك الدنيا ولاحطامها:

فلو كانت الدنيا ثواباً لمحسن ... إذاً لم يكن فيها معاش لظالم
لقد جاع فيها الأنبياء كرامة ... وقد شبعت فيها بطون البهائم

قول الله تعالى: ﴿مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ مَعَهُۥٓ أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

﴿أَشِدَّآءُ عَلَى ٱلْكُفَّارِ﴾ أي: الكفار المحاربين للمسلمين، والمعلنين عداوتهم والساعين في إيذائهم والإضرار بهم.

قال الله تعالى: ﴿لَّا يَنْهَىٰكُمُ ٱللَّهُ عَنِ ٱلَّذِينَ لَمْ يُقَٰتِلُوكُمْ فِى ٱلدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوٓاْ إِلَيْهِمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلْمُقْسِطِينَ﴾.

وهذه الآية محكمة عند جماهير العلماء، وليست بمنسوخة.

قوله تعالى: ﴿رُحَمَآءُ بَيْنَهُمْ﴾.

في هذا تنبيه لجميع المؤمنين، وحثٌّ شديد لهم، على أن يكونوا متصفين بالتراحم، والتعاطف، والتوادد؛ كما جاء في الحديث: عن النعمان بن بشير رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «مَثَل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، مثل الجسد- أي: مثل الجسد الواحد- إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمَّى».

رواه مسلم وأحمد كما في (الجامع الصغير) وقال العلامة المناوي: ورواه البخاري في (الأدب) لكنه أبدل مَثَلُ بـ تَرَى. اهـ.

فمن صفات المؤمنين التي لا يكمل إيمانهم إلا بها؛ أن يكونوا متوادِّين ـ أي: متحابين ومتعاطفين ومتراحمين.

روى مسلم والترمذي وغيرهما عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «والذي نفسي بيده لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم» كما في (تيسير الوصول).

وعن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، أنه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لن تؤمنوا حتى تراحموا».

قالوا: يا رسول الله كلُّنا رحيم.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنَّه ليس برحمة أحدكم صاحبه، ولكنها رحمة العامَّة»- أي الرحمة لجميع الناس لا لخصوص الأصحاب.

وعن جرير بن عبد الله رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى

الله عليه وآله وسلم: «مَنْ لا يَرْحم لا يُرحم» رواه الشيخان وغيرهما.

ورواه الإمام أحمد بزيادة: «ومن لا يَغفر لا يُغفر له» كما في (الترغيب).

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا مَن في الأرض يرحمكم من في السماء، الرحم شجنة من الرحمن، من وصلها وصله الله تعالى، ومن قطعها قطعه الله تعالى».

قال في (التيسير): أخرجه أبو داود إلى قوله: «مَن في السماء» والترمذي بتمامه[1].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: سمعت الصادق المصدوق، صاحب هذه الحجرة، أبا القاسم صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «لا تُنزع الرحمة إلا من شقيٍّ»[2].

فمن لم يتصف بالرحمة لعباد الله تعالى، فذلك علامة شقاوته، ومن أهم مواضع الرحمة الأولاد والصغار.

فعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: (قبَّل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الحسن بن علي عليهما السلام، وعنده الأقرع بن

---

(١) وقال الترمذي: حديث حسن صحيح كما في (الترغيب).
(٢) قال في (الترغيب): رواه أبو داود واللفظ له، والترمذي، وابن حبان في (صحيحه)، وقال الترمذي: حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح. اهـ.

حابس التميمي، فقال الأقرع: إنَّ لي عشرةً من الولد ما قبَّلت أحداً منهم.

فنظر إليه رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: «مَنْ لا يَرحم لا يُرحم») أخرجه الخمسة إلا النسائي كما في (التيسير).

وقد جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويعرف شرف كبيرنا»[1].

وروى الإمام أحمد والحاكم والطبراني، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ليس منا مَنْ لم يُجلّ كبيرنا، ويرحم صغيرنا، ويعرف لعالِمنا قدره».

قال الهيثمي: سنده حسن[2]

وروى الترمذي، عن أنس رضي الله عنه قال: جاء شيخ - أي: كبير السن - يريد النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأبطأ القوم عنه أن يوسعوا له، فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «ليس منا من لم يرحم صغيرنا، ويوقِّر كبيرنا»[3].

فالرحمة هي من الإيمان، وهي من صفات المؤمنين، فدينُ الإسلام يأمر بالرحمة للإنسان، والرحمة بالحيوان أيضاً، وفيها الأجر الكبير عند الله تعالى:

---

(١) عزاه في (الجامع الصغير) إلى أحمد والترمذي والحاكم رامزاً لصحته، وقال المناوي: ورواه أيضاً أبو داود والبخاري في (الأدب المفرد). اهـ.

(٢) وأورده في (الجامع الصغير) رامزاً لحسنه.

(٣) انظر (الجامع الصغير) وشرح المناوي.

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «بينما رجل يمشي بطريق اشتدَّ عليه العطش، فوجد بئراً فنزل فيها فشرب، ثم خرج وإذا كلب يلهث، يأكل الثرى من العطش[1]، فقال الرجل: لقد بلغ هذا الكلب من العطش مثل الذي كان بلغ مني، فنزل البئر فملأ خفه ماءً ـ أي: لأنه لم يجد إناءً ـ ثم أمسكه ـ أي: الخفَّ ـ بفيه حتى رقي ـ أي: خرج من البئر ـ فسقى الكلبَ، فشكر الله تعالى له فغفر له».

قالوا: يا رسول الله وإنَّ لنا في البهائم أجراً ـ أي: إذا رحمناهم ـ؟

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: « في كل كبد رطبة أجر»[2] رواه الثلاثة وأبو داود كما في (تيسير الوصول) وغيره.

كما أن ظُلم الحيوان له عذاب كبير:

روى الشيخان عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «دخلت امرأة النار في هِرَّة ربطتْها: فلم تطعمها، ولم تدعها تأكل من خشاش الأرض»[3].

قول الله تعالى: ﴿ تَرَىٰهُمْ رُكَّعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا ﴾.

---

(١) يلهث أي: يُخرج لسانه من شدة العطش والحرِّ.

(٢) قال في (التيسير): الكبد الرطبة كلُّ ذات روح، ولا تكون رطبة إلاّ إذا كان صاحبها حياً. اهـ.

(٣) الخشاش مُثلثة الخاء المعجمة، وخشاش الأرض هوامُّها، وحشراتها؛ ونحوهما.

في هذا ثناء من الله تعالى على أصحاب النبي صلى الله عليه وآله وسلم، ومدح لهم بكثرة العبادة لله تعالى، وكثرة الصلاة التي هي خير الأعمال، والعبادات والقربات.

وفي هذا بيان فضل الإكثار من الصلاة، وفضل الركوع والسجود.

جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما، أَنَّ رجلاً أتى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فسأله عن أفضل الأعمال.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «الصلاة».

قال: ثم مَه؟.

قال: «ثم الصلاة».

قال: ثم مَهْ؟

قال: «ثم الصلاة» ثلاث مرات.

قال: ثم مَه؟.

قال: «الجهاد في سبيل الله» فذكر الحديث.

قال في (الترغيب): رواه أحمد، وابن حبان في (صحيحه) واللفظ له.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «استقيموا ولن تُحصوا، واعلموا أَنَّ خير أعمالكم الصلاة، ولن يحافظ على الوضوء إلا مؤمن».

رواه الحاكم وقال: صحيح على شرطهما، ورواه ابن حبان في (صحيحه) والطبراني في (الأوسط) وقال فيه: «واعلموا أَنَّ أفضل أعمالكم الصلاة» كما في (الترغيب).

وعن معدان بن طلحة رضي الله عنه قال: لقيتُ ثوبان مولى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقلت: أخبرني بعمل أعمله يدخلني الله به الجنة، أو قال: قلت: بأحب الأعمال إلى الله تعالى؟

فسكتَ، ثم سألته فسكتَ، ثم سألته الثالثة.

فقال: سألتُ عن ذلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «عليك بكثرة السجود، فإنك لا تسجد لله تعالى سجدة إلاَّ رفعك الله بها درجةً، وحطَّ عنك خطيئة».[1]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «أقربُ ما يكون العبد من ربه عزّ وجلَّ وهو ساجد، فأكثِروا الدُّعاء».[2]

وروى مسلم وغيره عن ربيعة بن كعب الأسلمي رضي الله عنه قال: كنتُ مع[3] رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فأتيته بوضوئه وحاجته، فقال لي: «سلني».

فقلت: أسألك مرافقتك في الجنة.

قال: «أو غير ذلك».

قلتُ: هو ذاك.

قال: «فأعنِّي على نفسك بكثرة السجود».

---

(١) رواه مسلم والترمذي والنسائي وابن ماجه كما في (الترغيب).
(٢) رواه مسلم.
(٣) أي: عند باب بيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كما سيأتي في رواية الطبراني.

وروى الطبراني هذا الحديث بلفظ: عن ربيعة رضي الله عنه قال: كنت أخدم النبي صلى الله عليه وآله وسلم نهاري، فإذا كان الليل أويت إلى باب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فبتُّ عنده، فلا أزال أسمعه صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «سبحان الله، سبحان ربي» ـ حتى أملّ أو تغلبني عيني فأنام.

فقال يوماً صلى الله عليه وسلم: «يا ربيعة سلني فأعطيك».

فقلت: أنظرني حتى أنظر ـ وتذكرتُ أَنَّ الدنيا فانية منقطعة ـ أي: فلم أسأله شيئاً من الدنيا ـ فقلتُ: يا رسول الله أسألكَ أن تدعوا الله أن ينجيني من النار ويدخلني الجنة ـ أي: بمرافقتك كما تقدم في رواية ـ.

فسكت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ثم قال: «مَنْ أمرك بهذا»؟.

قلت: ما أمرني به أحد، ولكن علمتُ أَنَّ الدنيا منقطعة فانية، وأنت مِنَ الله تعالى بالمكان الذي أنت منه، فأحببت أن تدعو الله لي.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «إنِّي فاعل، فأعني على نفسك بكثرة السجود» (١).

فمن أراد مرافقة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فليكثر من السجود.

روى ابن ماجه بإسناد جيد، عن أبي فاطمة ـ رجل من

---

(١) كما في (الترغيب).

الصحابة ـ رضي الله عنه قال: قلت يارسول الله أخبرني بعمل أستقم عليه وأعمله.

قال صلى الله عليه وآله وسلم: «عليك بالسجود: فإنك لا تسجد لله تعالى سجدةً إلا رفعك الله بها درجة، وحطَّ عنك خطيئة»[١].

ومن هنا تفهم فضل الإكثار من الصلاة، ومالها من الأجر العظيم.

اللهم إنا نسألك مرافقة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم بجاهه عندك يا ذا الجلال والإكرام ـ آمين.

قوله تعالى: ﴿يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا﴾.

بعد أن وصفهم الله تعالى بكثرة الصلوات التي هي أعظم العبادات، بيَّن سبحانه وتعالى مقصودهم من ذلك، ومطلوبهم، وذلك أنهم يبتغون ـ أي: يطلبون فضلاً من الله تعالى، ذي الفضل العظيم الذي لا يتناهى فضله وكرمه، ويطلبون رضوانه سبحانه، فإن رضى المحبوب هو غاية المطلوب، وفي هذا شهادة مِن الله تعالى لهم بكمال صدقهم، وإخلاصهم في عباداتهم، فهم عباد الله تعالى، العُبَّاد المخلِصون له الدين.

وفي هذا تنبيه المسلمين وإرشادهم إلى الاهتمام بالإخلاص في

---

(١) قال في (الترغيب) ورواه مختصراً الإمام أحمد ولفظه: قال: قال لي نبي الله صلى الله عليه وآله وسلم: «يا أبا فاطمة إنْ أردت أن تلقاني فأكثر السجود».

عباداتهم وأعمالهم، وبيان فضل المخلصين عند الله تعالى والصادقين.

فعن أنس رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «مَنْ فارق الدنيا على الإخلاص لله وحده لا شريك له، وأقام الصلاة؛ وآتى الزكاة؛ فارقها والله عنه راضٍ» رواه ابن ماجه، والحاكم وقال: صحيح على شرطهما.

وعن ثوبان رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «طوبى للمخلصين: أولئك مصابيح الهُدى، تنجلي عنهم كل فتنة ظلماء» رواه البيهقي.

وعن مصعب بن سعد، عن أبيه رضي الله عنه، أَنَّه ظنَّ أَنَّ له فضلاً على مَنْ دونه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنما يَنصر الله هذه الأمَّة بضعيفها: بدعوتهم، وصلاتهم، وإخلاصهم».

قال في (الترغيب): رواه النسائي وغيره، وهو في البخاري وغيره دون ذكر الإخلاص. اهـ

وإخلاصُ العمل لله تعالى هو الأساس في قبول العمل عند الله تعالى، والأجر عليه.

جاء في الحديث عن أبي أمامة رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال: «أرأيتَ رجلاً غزا ـ أي حارب الأعداء ـ يبتغي الأجر والذِكر مالَه؟ ـ أي: يبتغي أن يَذكره الناس بالشجاعة والجراءة، ونحو ذلك ويثنوا عليه.

فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا شيء له».

فأعادها ثلاثَ مرات، ويقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «لا شيء له».

ثم قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إن الله عز وجل لا يقبل من العمل إلاَّ ما كان له خالصاً، وابْتُغي به وجهه» رواه أبو داود، والنسائي بإسناد جيد كما في (الترغيب) للمنذري.

فعلى المسلم أن يُخلص في عمله، ويبتغي بذلك فضل الله تعالى ورضاه، ويباعد نفسه عن الرياء والسُّمعة، وليعلم أَنَّ الأعمال بالنيات، وأَنَّ لكل امرىء ما نواه في عمله؛ إن خيراً فخير، وإن شراً فَشَرٌّ.

جاء في الحديث عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: « إنما الأعمال بالنيات، وإنَّما لكل امرىء ما نوى، فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله؛ فهجرته إلى الله ورسوله، ومَنْ كانت هجرته إلى دنيا يصيبها؛ أو امرأة ينكحها؛ فهجرته إلى ما هاجر إليه».

رواه الشيخان وأصحاب السنن وغيرهم.

قول الله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾.

السيما هي العلامة، وهي النور الذي يَبدو ظاهراً على وجوههم من كثرة السجود، والصلاة لله تعالى، كما قال صلى الله عليه وآله وسلم: «والصلاة نور» أي: نور يملأُ قلب المصلي، ويظهر على وجهه، وينوِّر له قبره، ويهديه إلى السير على الصراط، ويصحبه ولا يفارقه أبداً.

روى الطبراني - في (الأوسط والصغير) - وابن مَرْدُوْيَه بسند

حسن عن سيدنا أبي بن كعب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في قوله تعالى: ﴿سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِم مِّنْ أَثَرِ السُّجُودِ﴾ قال: «النور يوم القيامة».

وروى البخاري في (تاريخه) وابن نصر عن ابن عباس رضي الله عنهما أنه قال في الآية[1]: بياض يغشى وجوههم يوم القيامة.

وهذا لا يُنافي أن يكون النور علامَة في وجوههم في الدنيا، وأيضاً في الآخرة، لكنه لما كان في الآخرة أظهر وأتمُّ خصّه النبي صلى الله عليه وآله وسلم بالذكر، فإنه في الدنيا ظاهر على وجوههم، ولكنه في الآخرة أظهر وأبهر، بحيث يراه جميع الناس. قال الله تعالى: ﴿وَأَمَّا ٱلَّذِينَ ٱبْيَضَّتْ وُجُوهُهُمْ فَفِى رَحْمَةِ ٱللَّهِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾.

اللهم اجعلنا منهم بجاه سيدنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم عندك.

روى ابن ماجه والبيهقي، وغيرهما، عن أنس رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والصدقة تُطفىء الخطيئة كما يُطفىء الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام جُنَّة ـ أي: وقاية ـ من النار» كذا في (الترغيب).

وعن أبي مالك الحارث بن عاصم الأشعري رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم «الطُّهور شطر الإيمان، والحمد لله تملأ الميزان، وسبحان الله والحمد لله تملآن أو تملأ ما بين

---

(١) أي: معنى أثر السجود المذكور في الآية الكريمة.

السماء والأرض، والصلاة نور، والصدقة برهان، والصبر ضياء، والقرآن حجة لك، أو حجة عليك؛ كل الناس يغدو؛ فبائع نفسه؛ فمعتقها أو مُوبقها» ـ أي: مهلكها ـ رواه مسلم.

والمعنى: أَنَّ كل إنسان: إما أَنْ يسعى في فكاك نفسه من الهلاك، أو في هلاكها، فمن سعى في طاعة الله تعالى فقد باع نفسه لله تعالى وأعتقها من عذابه، ومن سعى في معصية الله تعالى فقد باع نفسه بالهوان، وأوبقها وأهلكها بالآثام، الموجبة لغضب الله تعالى، وعقابه وعذابه.

فاسعَ أيها المسلم في نجاة نفسك ولا تُهلكها.

قول الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ فَـَٔازَرَهُۥ فَٱسْتَغْلَظَ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَ ۗ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا﴾.

﴿ذَٰلِكَ مَثَلُهُمْ فِي ٱلتَّوْرَىٰةِ ۚ﴾ أي ما تقدم ذكره هو صفتهم في التوراة، ﴿وَمَثَلُهُمْ فِى ٱلْإِنجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْـَٔهُۥ﴾، الشطأ فراخ الزرع، وهو ما خرج منه، وتفرَّع عنه، ﴿فَـَٔازَرَهُۥ﴾ أي: قوّاه وشدَّه.

﴿فَٱسْتَغْلَظَ﴾ أي: شبَّ وقوي، ﴿فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ﴾ أي: فاستقام على قصبه وأصوله، وهو جمع ساق.

﴿يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ﴾ بقوته وحسن منظره، وخصَّهم سبحانه وتعالى بالذكر؛ لأنَّه إذا أعجب الزراع الذين لهم معرفة وخبرة بأمور الزرع، فهو من باب أولى يُعجب غيرهم أيضاً.

واختلف المفسرون من السلف في توجيه هذا المثل:

فذهب بعضهم إلى أَنَّه مَثَلٌ ضربه الله تعالى للصحابة رضي الله

عنهم، قَلُّوا في بدء الإسلام، ثم كثروا واستحكموا، فترقى أمرهم، واشتد عزمهم، فصاروا أقوى الأمم، وهذا بسبب إمداد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ، وتربيته لهم، وإرشاداته وتوجيهاته لهم، وإفاضته عليهم من بركاته، وأسراره وأنواره صلى الله عليه وآله وسلم، فهو الأصل في ذلك الخير كله، وقد أَلَّفهم الله تعالى به، وقوَّاهم به، وجعلهم كثرةً كاسرة لأعداء رسوله صلى الله عليه وآله وسلم.

وذهب البعض الآخر إلى أن هذا مَثَلٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وأصحابه، وليس مثلاً لأصحابه فقط.

قال المفسر الحافظ ابن كثير عند قوله تعالى: ﴿ فَٱسْتَوَىٰ عَلَىٰ سُوقِهِۦ يُعْجِبُ ٱلزُّرَّاعَ ﴾: فكذلك أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، آزروه وأيَّدوه، ونصروه، فهو معهم كالشطء مع الزرع. اهـ (١)

والمعنى أَنه هو صلى الله عليه وعلى آله وسلم الأصل المِمِدُّ لهم، وهم الفروع المستَمِدَّة منه، فقوَّاهم، واشتد عزمهم به، فأيَّدوه ونصروه، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قال عبد الله: ولا تنافي بين القولين في توجيه المَثل، فالكُلُّ متفقون على أَنَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم هو الأصل المِمِدُّ، والمربي لهم، وهو صلى الله عليه وعلى آله وسلم مَصْدر قوتهم، واشتداد عزمهم، ومصدر كل خيرٍ واصِلٍ إليهم؛ وإلى غيرهم، وهو الواسطة في خير الدنيا والآخرة، وهو صلى الله عليه وعلى آله

(١) انظر هذي القولين في (تفسير) القرطبي والألوسي، وغيرهما.

وسلم الفَيّاض بالأسرار والأنوار على البصائر والأبصار، وعلى الأرواح والقلوب والأشباح.

ورضي الله تعالى عن عبد الله بن رواحة القائل:

وفينا رسول الله يتلو كتابه إذا انشق معروف من الفجر ساطع

أرانا الهُدى بعد العمى فقلوبنا به موقنات أن ما قال واقع

يبيت يُجافي جنبه عن فراشه إذا استثقلتْ بالمشركين المضاجع

قال العلامة الشيخ محمد بن قاسم جَسُّوْس رحمه الله تعالى في شرحه على الشمائل الشريفة: وما أحسنَ قول حسان رضي الله عنه في وصفه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لما قدم على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ورجع إلى قومه - أي: وكانوا من المشركين - فقالوا له: صفْ لنا مارأيتَ، وبذلوا له مالاً على أن يهجوه صلى الله عليه وعلى آله وسلم بما يناسب بُغضهم فيه.

فقال رضي الله عنه:

لما نظرتُ إلى أنواره سَطعتْ وضعْتُ من خيفتي كَفِّي على بصري

خوفاً على بصري من حسن صورته فلست أنظره إلا على قدر

الأنوار[1] من نوره في نوره غرقت والوجه مثل طلوع الشمس والقمر

روحٌ من النور في جسم من القمر كحُلَّة نسجت في الأنجم الزهر

فقالوا: ماهذا؟

فقال: هذا الذي رأيتُ، وعارٌ على الرجل أن يصف الكذب. اهـ

أي: عارٌ على الرجل أن يصف وصفاً كذباً مخالفاً للواقع.

---

(١) بدرج الهمزة للوزن كما هو معلوم.

ويرحم الله تعالى القائل ـ في مدحه صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

بهرتَ بالحسن أهلَ الحسن فانبهروا حتى كأنهمُ في الحيِّ ما ظهروا
وصِرت قُطبَ جمالٍ فاستمدَّ سنا من وجهك النَّيِّرَان: الشمسُ والقمر

صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم تسليماً كثيراً أبداً أبداً.

قوله تعالى: ﴿ لِيَغِيظَ بِهِمُ ٱلْكُفَّارَۗ ﴾.

قال العلامة القرطبي: اللام متعلقة بمحذوف أي: فعل الله تعالى هذا لسيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم وأصحابه، ليغيظ بهم الكفار. اهـ

والمعنى: أَنَّ الله تعالى قَوَّى برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أصحابه، بعد أن كانوا ضعفاء في بدء الإسلام، وكثَّرهم بعد أن كانوا قِلةً، وبه ألفهم، وجمع شملهم، ونَمَّاهم، وبارك فيهم، وأكرمهم برسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وفَضَّلَهم به، وتفضل عليهم سبحانه بسببه صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ فعل الله تعالى ذلك ليغيظ بهم الكفار، فاللام لام التعليل لفعل محذوف.

قوله تعالى: ﴿ وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ مِنْهُم (١) مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًۢا ﴾ ـ هذا وَعْدٌ من الله تعالى، والله سبحانه وتعالى لا يُخْلف وعده، ولا ينقض عهده.

وفي هذا دليل على عظيم فضل الصحابة رضي الله عنهم، وعُلوِّ منزلتهم وكرامتهم عند الله تعالى، لأنَّهم أصحاب رسول الله صلى

---

(١) ومن هنا للبيان لا للتبعيض، كما هو مبين في مطولات التفاسير مع الأدلة.

الله عليه وعلى آله وسلم، وإنَّ فضل الصحبة له صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لا يُنال إلا بشرف صحبته صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال الحافظ ابن حجر رحمه الله تعالى في كتابه (الإصابة):

روى البزار في (مسنده) بسندٍ رجاله مُوثَّقون، من حديث سعيد بن المسيب، عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنّ الله اختار أصحابي على الثقلين، سوى النبيين والمرسلين».

والمراد بالثقلين هنا الإنس والجن.

قال الله تعالى: ﴿سَنَفْرُغُ لَكُمْ أَيُّهَ ٱلثَّقَلَانِ﴾ أي: الإنس والجن.

فمحبة أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي من العلامات الدالة والشاهدة على صدق المحبة لسيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لأنّهم أصحابه وأحبابه؛ وقد مدحهم الله تعالى، وأثنى عليهم، وأوصى بهم كما تقدم في الأحاديث.

روى ابن أبي شيبة، والبزار، وعبد بن حميد، وابن جرير، وابن المنذر، وابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ قال: هم أصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، اصطفاهم الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وعلى آله وسلم. اهـ كما في (الدر المنثور) وغيره.

وروى ابن جرير، وعبد بن حميد، عن سفيان الثوري في قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ قال: نزلت في أصحاب

سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم خاصة. اهـ كما في (الدر المنثور).

وذكر الحافظ ابن حجر في (الإصابة) بالسند عن سفيان الثوري أنه قال في قوله تعالى: ﴿وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ﴾ قال: هم أصحاب سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم. اهـ.

وروى الفقيه الحافظ ابن عبد البر في كتاب (الاستيعاب) بسنده منه إلى عاصم، عن زِرِّ بن حبيش، عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: (إن الله تعالى نظر في قلوب العباد، فوجد قلب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، خير قلوب العباد ـ أي: كلهم ـ فاصطفاه وبعثه برسالته ـ أي: العامة ـ ثم نظر في قلوب العباد بعد قلب محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، فوجد قلوب أصحابه خير قلوب العباد[1] فجعلهم وزراء نبيه ـ أي: أنصاره وأعوانه ـ يقاتلون عن دينه). اهـ

وقد أورد هذا الحديث الحافظ الهيثمي في (مجمع الزوائد) بزيادة:

(فما رآه المسلمون حسناً فهو عند الله حسن، وماراآه المسلمون سيئاً فهو عند الله سيّء). اهـ

ثم قال في (مجمع الزوائد): رواه أحمد والبزار، والطبراني في (الكبير) ورجاله موثقون. اهـ

وقول ابن مسعود رضي الله عنه: (إن الله تعالى نظر في قلوب العباد) إلى آخره ـ هذا إخبار عن أمر غيبي لا يُدرك بالرأي، ولا

---

(١) أي: ما عدا النبيين والمرسلين، كما دل على ذلك حديث البزار المتقدم.

يُعلم إلا من طريق رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، الذي أطلعه الله تعالى على المغيَّبات ـ فكلام ابن مسعود رضي الله عنه المتقدم له حكم المرفوع كما هو مقرر في علم المصطلح.

هذا وإنَّ فضل صحبة رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لا ينال بكثرة العمل الصالح، بل لا ينال فضل تلك الصحبة إلا بالصحبة لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

جاء في الحديث عن سعيد بن زيد رضي الله عنه قال: سمعتُ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «أبو بكر في الجنة، وعمر في الجنة، وعثمان في الجنة، وعليٌّ في الجنة، وطلحة في الجنة، والزبير في الجنة، وسعد بن مالك في الجنة، وعبد الرحمن بن عوف في الجنة، وأبو عبيدة بن الجراح في الجنة» وسكت عن العاشر، فقالوا له: مَنْ العاشر؟

فقال: «سعيد بن زيد» ـ يعني نفسه ـ.

ثم قال سعيد: (والله لَمَشْهدُ رجل منهم مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم تَغَبَّرَ فيه وجهه خير من عمل أحدكم ـ يُخاطب التابعين ـ عُمْرَه ولو عُمِّرَ عُمر نوح).

رواه أبو داود وهذا لفظه، والترمذي كذا في (التيسير)، ورواه الإمام أحمد والضياء وغيرهم.

وقد أثنى الله تعالى على أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم المهاجرين، ومدحهم، وشهد لهم بالإخلاص والصدق، ثم أثنى على الأنصار، وذكر خصالهم الصريحة ومدحهم:

قال الله تعالى: ﴿لِلْفُقَرَآءِ ٱلْمُهَـٰجِرِينَ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَأَمْوَٰلِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ ٱللَّهِ وَرِضْوَٰنًا وَيَنصُرُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ ۚ أُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلصَّـٰدِقُونَ﴾.

فتركوا الديار والأموال يبتغون فضلاً من الله ورضواناً، وفي هذا شهادة بإخلاصهم لله تعالى، كما أنهم تركوا الديار والأموال نصرة لله تعالى ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، أولئك هم الصادقون في إيمانهم بالله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وفي عهدهم مع الله تعالى ومع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وكفاهم فضلاً وشرفاً أنّ الله تعالى شهد لهم بالإخلاص، وشهد لهم بالصدق، وسجّل ذلك في كتابه المنزل على نبيه المرسل صلى الله عليه وآله وسلم.

ثم أثنى الله تعالى على الأنصار فقال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ﴾.

التبؤ هنا هو التمكن والاستقرار، والإقامة في الأماكن، والمراد بالدار هنا المدينة المنورة، وتسمى طيبة، وطابة، ولها أسماء مباركة كثيرة.

﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ﴾ المراد بهم الأنصار، فإنهم استوطنوا المدينة المنورة قبل المهاجرين إليها.

وقوله تعالى: ﴿وَٱلْإِيمَٰنَ﴾ منصوب بفعل محذوف أي: وأخلصوا الإيمان والتزموه، وعلى هذا التأويل يكون: ﴿مِن قَبْلِهِمْ﴾ متعلقاً بفعل تبؤوا، والمعنى: والذين تبؤوا الدار ـ أي: المدينة المنورة ـ

من قبل المهاجرين وأخلصوا الإيمان والتزموه.

ويجوز أن يكون ذلك من باب التضمين ـ أي: ضمّن فعل تبؤوا معنى لزموا، أي: لزموا الدار ولزموا الإيمان، فلم يفارقوهما(١).

قال العلامة القرطبي: ليس يريد ـ أي: ليس المراد ـ أنَّ الأنصار آمنوا قبل المهاجرين، بل المراد أن الأنصار آمنوا قبل هجرة النبي ﷺ إليهم. اهـ.

وقد نقل العلامة المفسر القرطبي، والعلامة الخطيب، وغيرهما من المفسرين عن ابن وهب أنه قال: سمعت مالكاً يذكر فضل المدينة على غيرها من الآفاق، فقال: (إن المدينة تُبوئت بالإيمان والهجرة، وإن غيرها من القرى افتتحت بالسيف، ثم قرأ قول الله تعالى: ﴿ وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ ﴾.

ويرحم الله تعالى القائل:

لطيبــة عــرِّج إنّ بين قبــابهــا	حبيبــاً لأدواء القلــوب طبيــب
إذا لم نطب في طيبة عند طيب	به طابت الدنيا فأين نطيب

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

قال عبد الله يغفر الله تعالى له: ـ وهو في طيبة على مُطَيِّبها أفضل الصلاة والسلام:

يا قلبُ بُشراك أيام الرضا رجعتْ	وهذه الدار بالمختار قد سَطعت
أما ترى نفحات الطيب قد عبقت	من طيبة وبروق الحِبِّ قد لمعت
واشهد جمال الذي من أجل طلعته	قلوب عشَّاقه من نورها انصدعت
وافرح بفضل الذي أعطاك مكرمة	ما كنتَ تسأله فالسُّحب قد هطلت

(١) انظر (تفسير) القرطبي و(تفسير) الخطيب وغيرهما.

فعشْ سعيداً بوصلٍ غير منقطع   مع من تُحب وحُجب البعد قد رُفعت
واقرأ السلام قريباً عن مشاهدة   شمسَ الوجود التي أنوارها بهرت
صلى الله عليه وآله وسلم تسليماً

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلْإِيمَـٰنَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾.

في هذا بيان من الله تعالى فضل الأنصار، وشرفهم وكرمهم، ومدح لهم، فإنهم من كرمهم وشرف أنفسهم يُحبون المهاجرين إليهم، حباً شديداً إيمانياً، ويحسنون إليهم، ويواسونهم بأموالهم، ويبذلونها لهم، ويَكْفُوْنهم جميع المؤونة.

روى الإمام أحمد عن أنس رضي الله عنه قال: قال المهاجرون: يا رسول الله ما رأينا مثل قوم قدمنا عليهم أحسن مواساةً في قليل، ولا أحسن بَذلاً في كثير، لقد كفونا المؤونة، وأشركونا في المهنأ، حتى لقد خشينا أن يذهبوا بالأجر كله.

فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «لا ـ ما أثنيتم عليهم ودعوتم الله لهم».

والمعنى: أن أجركم محفوظ لكم، وأجرهم محفوظ لهم عند الله تعالى، ما دمتم تُثنون عليهم، وتدعون الله تعالى لهم.

روى الإمام البخاري عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: دعا النبي صلى الله عليه وآله وسلم الأنصار أن يقطع لهم البحرين.

قالوا: لا ـ إلاّ أن تقطع لإخواننا من المهاجرين مثلها؟.

قال: «إمَّا لا؛ فاصبروا حتى تلقوني ـ أي: على الحوض ـ فإنَّه سيصيبكم أثرة».

وفي رواية: قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم للأنصار: «إنكم ستلقون بعدي أثرة، فاصبروا حتى تلقوني، وموعدكم الحوض»[1].

يقال: استأثر بالشيء إذا استبدَّ به، والاسم الأثرة.

والمعنى: أنكم يا معشر الأنصار، أهل الإيثار، وسترون أهل الاستئثار.

قال في (النهاية): الأَثَرة بفتح الهمزة والثاء، والاسم من أثر يؤثر إذا أعطى ـ أراد صلى الله عليه وآله وسلم بقوله للأنصار: «ستلقون بعدي أثرة» أراد أنه يُستأثر عليكم، فيفضَّل غيركم في نصيبه من الفيء، والاستئثار الانفراد بالشيء. اهـ.

قوله تعالى: ﴿يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ﴾.

والمعنى أن الأنصار يُحبون المهاجرين لأنهم هاجروا إلى الله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فهم يُحبونهم حباً في الله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم، وفي هذا تنبيه من الله تعالى، وإرشاد للمؤمنين أن يكونوا متحابين، متعاطفين، متعاونين، كما وصفهم الله تعالى.

قال الله تعالى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾ ـ أي: أحباب وأنصار ـ ﴿يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ﴾ ـ فهم متناصحون ـ ﴿وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَيُطِيعُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَٰئِكَ سَيَرْحَمُهُمُ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

وقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مثل المؤمنين في توادِّهم

---

(١) انظر مناقب الأنصار في (صحيح) البخاري.

وتراحمهم وتعاطفهم: مثل الجسد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى» الحديث كما تقدم.

وهذا التحابب العامُّ واجب على كل مؤمن ومؤمنة؛ كما تقدم في الآية الكريمة.

وفي الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ألا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»[1].

وهناك التحابب في الله تعالى الخاصُّ بين المتحابين، فوق التحابب العامِّ بين جميع المؤمنين، فالأول هو مُوجب الأخوة الإيمانية العامَّة بين المؤمنين، والثاني هو موجب الأخوة الإيمانية الخاصَّة، بين الذين تآخوا في الله تعالى، ولها حقوق فوق حقوق الأخوّة العامَّة[2].

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «سبعة يظلُّهم الله في ظلِّه يوم لا ظل إلا ظله: الإمام العادل، وشابٌّ نشأ في عبادة الله تعالى، ورجل قلبه معلَّق في المساجد، ورجلان تحابَّا في الله تعالى: اجتمعا عليه وتفرَّقا عليه، ورجل دعته امرأة ذات منصب وجمال؛ فقال: إني أخاف الله، ورجل تصدَّق بصدقة فأخفاها حتى لا تعلم شماله ما تنفق يمينه، ورجل ذكر الله تعالى خالياً ففاضت عيناه».

---

(١) قال في (الترغيب): رواه مسلم، وأبو داود والترمذي وابن ماجه. اهـ وقد تقدم.

(٢) انظر كتابي: (حول تفسير سورة الحجرات) فهناك التفصيل.

قال في (الترغيب): رواه البخاري ومسلم وغيرهما.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «يقول الله تعالى يوم القيامة: أين المتحابُّون بجلالي، اليوم أظلهم في ظلِّي يوم لا ظل إلاَّ ظلِّي» رواه مسلم وغيره.

وروى الإمام مالك عن أبي إدريس الخولاني، عن معاذ رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يقول الله تبارك وتعالى: وجبتْ محبتي للمتحابِّين فيَّ، وللمتجالسين فيَّ، وللمتزاورين فيَّ، وللمتباذلين فيَّ» كما في (التيسير).

وروى الإمام أحمد بإسناد جيد، عن العرباض بن سارية رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «قال الله عز وجل: المتحابُّون بجلالي في ظلِّ عرشي يوم لا ظل إلا ظلِّي» كذا في (الترغيب).

فالحب في الله تعالى من أفضل الأعمال المقربة إلى الله تعالى، ومِنْ أحبِّ الأعمال المرضية عند الله تعالى، والمحبوبة إليه سبحانه.

جاء في الحديث عن أبي ذر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أفضل الأعمال: الحبُّ في الله تعالى، والبغض في الله تعالى».

قال في (الترغيب): رواه أبو داود، وهو عند أحمد أطول منه، وقال فيه: «إنَّ أحبّ الأعمال إلى الله عز وجل: الحبُّ في الله، والبغض في الله».

فالواجب على المؤمن أَن يحب المؤمن لله تعالى ـ أي: لأنه مؤمن بالله تعالى، وكلَّما كان أتقى لله تعالى فيجب أن يحبه أكثر.

روى الطبراني في (الأوسط) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنّ من الإيمان أن يحبّ الرجل رجلاً لا يحبه إلا لله؛ من غير مال أعطاه ـ فذلك الإيمان».

أي: فهو يحب المؤمن لإيمانه، لا لماله، ولا لجاهه الدنيوي ولا لدنياه.

وروى أبو داود عن أبي أمامة رضي الله عنه، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من أحبَّ لله، وأبغض لله، وأعطى لله، ومنع لله، فقد استكمل الإيمان».

أي: فلا يكمل الإيمان إلا بالتحقق بهذه الخصال الإيمانية.

فالتحابب بين المؤمنين أمر إيماني وليس بامتناني.

جاء في الحديث عن عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «خير الأصحاب عند الله خيرهم لصاحبه، وخير الجيران عند الله خيرهم لجاره» رواه الترمذي وحسنه[1].

فعليك أيها المسلم بصحبة الصادقين.

قال الله تعالى: ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَكُونُوا۟ مَعَ ٱلصَّـٰدِقِينَ﴾.

لأن المعية للصادقين تُقوّي إيمانك، والمجالسة تقتضي المجانسة.

---

(١) قال في (الترغيب) ورواه ابن خزيمة وابن حبان في (صحيحيهما) والحاكم وقال: صحيح على شرط مسلم. اهـ.

ويرحم الله تعالى القائل:

إذا كنتَ في قومٍ فصاحب خيارهم ولا تصحب الأردى فتردى مع الردي

عن المرء لا تسلْ وسلْ عن قرينه فكلُّ قرين بالمقارن يقتدي

ويرحم الله تعالى القائل:

إذا كنتَ في باب النبي فلا تخف وإن عارضتك الجنُّ يا خلُّ والإنس

تعرَّف لأقوام يدينون حبَّه وباعِدْ أناساً قد تخبَّطهم مسُّ

فإن محبَّ الحق يأوي لأهله بلا ريبة والجنس يألفه الجنس

فمن جالس المحبين لله تعالى، ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؛ فقد ازداد حباً لله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وسَرَى حالهم فيه، فإن عدوى الأرواح أقوى من الأشباح - فافهم.

ألا ترى أنك إذا جالست البكائين يغلب عليك البكاء، وإذا جالستَ الذين يكثرون الضحك سرى إليك حال الضحك، وإذا جالست أهل الخشية من الله تعالى سرى إليك حالهم - وهكذا الأمر مُطَّرِدٌ، فكثرة المجالسة تجرُّ إلى المجانسة - فاعتبر.

قول الله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُوا۟﴾.

قال الحسن البصري: - في هذه الآية الكريمة - قال: يعني الحسد[1].

والمعنى: أَنَّ الأنصار يُحبون من هاجر إليهم، ويحبون لهم كل

---

(١) رواه عن الحسن عبد الرزاق، وابن أبي شيبة، وعبد بن حميد، وابن المنذر كما في (الدر المنثور).

خير، ولا يحسدونهم على ما خُصُّوا به من الفيء وغيره، بل هم يفرحون لهم بذلك، ولا يجدون في صدورهم حسداً ولا حزازة، ومن هذا الباب ما جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: (كنا جلوساً مع رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «يطلُع الآن عليكم رجل من أهل الجنة».

فطلع رجل من الأنصار تقطر لحيته من وضوئه، قد علق نعله بيده الشمال.

فلما كان الغد قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثل ذلك، فطلع ذلك الرجل، مثل المرة الأولى، فلما كان اليوم الثالث قال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مثل مقالته أيضاً، فطلع ذلك الرجل على مثل حاله الأول، فلما قام النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم تبعه ـ أي: تبع ذلك الرجل ـ عبد الله بن عَمرو بن العاص فقال: إني لا حيتُ ـ أي: خاصمت ـ أبي، فأقسمت أن لا أدخل عليه ثلاثاً، فإنْ رأيتَ أن تُؤويني إليك حتى تَمْضِيَ فعلتَ؟ قال: نعم.

قال أنس: فكان عبد الله يُحَدِّثُ أنه بات معه تلك الثلاث الليالي، فلم يره يقوم من الليل شيئاً ـ أي: شيئاً طويلاً[1] ـ غير أنَّه إذا تعارَّ ـ أي: استيقظ ـ تقلّب على فراشه ذَكَر الله عز وجل، وكبَّر حتى يقوم لصلاة الفجر.

---

(١) كما في رواية البيهقي: حتى إذا كان في وجه السحر قام فتوضأ، ثم دخل المسجد فصلى ثنتي عشرة ركعة، باثنتي عشرة سورة من المفصل، ليس من طواله ولا من قصاره اهـ.

قال عبد الله: غير أني لم أسمعه يقول إلا خيراً.

فلما مضت الثلاث الليالي، وكدتُ أحتقر عمله ـ أي: لأنَّه كان أطول منه قياماً.

فقال ابن عمرو: قلت: يا عبد الله لم يكن بيني وبين أبي غضب ولا هجرة، ولكن سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول لك ثلاث مرات: «يطلع الآن عليكم رجل من أهل الجنة»، فطلعتَ أنت الثلاث مرات، فأردتُ أن آويَ إليك فأنظر ما عملك، فأقتدي بك، فلم أَرَكَ عملتَ كبير عمل، فما الذي بلغ بك ما قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟

فقال: ما هو إلا ما رأيتَ.

قال عبد الله بن عمرو: فلما وَلَّيْتُ دعاني، فقال: ما هو إلاَّ ما رأيتَ، غير أَنِّي لا أجد في نفسي لأحدٍ من المسلمين غشَّاً، ولا أحسد أحداً على خيرٍ أعطاه الله تعالى إيّاه.

فقال عبد الله بن عمرو: هذه التي بلغتْ بك.

أي: بلغت تلك المنزلة العالية، وصرتَ من أهل الجنة.

قال المنذري: ـ بعدما أورد هذا الحديث من رواية أحمد: ورواه أحمد بإسناد على شرط البخاري ومسلم، والنسائي ورواته احتجّابهم أيضاً. اهـ

وفي رواية البيهقي: أَنَّ الرجل هو سعد بن مالك رضي الله عنه.

وقد ذكرتُ هذا الحديث ورواياته في مواضع من كتبي ـ والحمد لله رب العالمين.

يا رب هيّء لنا من أمرنا رشدا واجعل معونتكَ الحسنى لنا مددا
ولا تكلنـا إلى تـدبير أنفسنـا فالنفس تعجز عن إصلاح ما فسدا
أنتَ العليم وقد وجّهتُ يا أملي إلى رجائك وجهاً سائلاً ويدا
وللـرجـاء ثـواب أنـت تعلمـه فاجعل ثوابي دوام السِّتر لي أبداً

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّآ أُوتُواْ﴾ الآية.

في هذا شهادة من الله تعالى للأنصار بسلامة صدورهم، وحسن نياتهم وطويّاتهم في معاملتهم لإخوانهم المهاجرين رضي الله تعالى عنهم أجمعين.

وفي هذا إيقاظٌ، وتنبيه المؤمنين إلى السير على منهاجهم الذي خطَّه لهم رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فيتباعدون عن داء الحسد والحقد وما هنالك من الأدواء القلبية، فإن الحسد يأكل الحسنات التي تعب الإنسان في تحصيلها؛ كما تأكل النار الحطب.

جاء في الحديث عن أبي هريرة رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إيَّاكم والحسد، فإنَّ الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب» أو قال: «العشب».

قال الحافظ المنذري: رواه أبو داود والبيهقي، ورواه ابن ماجه وغيرهم من حديث أنس رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «الحسد يأكل الحسنات كما تأكل النار الحطب، والصدقة تُطفيء الخطيئة كما يُطفيء الماء النار، والصلاة نور المؤمن، والصيام جنّة من النار» أي: وقاية.

فحافظ أيها المؤمن والمؤمنة على حسناتكم من أن تحرقها نار الحسد.
وقد تكلمت على مَضارِّ الحسد في تفسير ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ﴾ فارجع إليه.

هذا وإنَّ سلامة الصدر من الحسد والحقد والغلِّ والبغضاء وما هنالك من الأدواء القلبية ـ إنّ سلامة الصدر من ذلك هي أساس مكين في الولاية والتقرب إلى ربِّ العالمين.

روى الحسن رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنَّ بُدلاء أمتي لم يدخلوا الجنة بكثرة صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكن دخلوها برحمة الله تعالى، وسخاوة النفس، وسلامة الصدر».

قال في (الترغيب): رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (الأولياء) مرسلاً. اهـ.

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: قيل يا رسول الله: أيُّ الناس أفضل؟.

قال: «كلُّ مخموم القلب صدوق اللسان».

قالوا: صدوق اللسان نعرفه، فما مخموم القلب؟.

قال: «هو التقيُّ النقيُّ، لا إثم فيه، ولا بغي، ولا غلّ، ولا حسد»[1].

فمخموم القلب هو نظيف القلب، فقلبه نَقيٌّ تقي لا إثم فيه ولا بغي، ولا غل ولا حسد.

جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يدعو يقول: «ربِّ أعني ولا تُعن عليَّ،

---

(١) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، والبيهقي وغيره أطول منه. اهـ كما في (الترغيب).

وانصرني ولا تَنصر عليّ، وامكر لي ولا تمكر عليّ، واهدني، ويَسِّرْ الهدى لي، وانصرني على مَنْ بَغىٰ عليّ.

ربِّ اجعلني لك شاكراً ـ وفي رواية: «شكّاراً» ـ لك ذاكراً ـ وفي رواية: «لك ذكّاراً» ـ لك راهباً ـ وفي رواية: «لك رهّاباً» ـ لك مطواعاً، لك مُخْبِتاً، إليك أوّاهاً منيباً.

ربِّ تقبل توبتي، واغسل حوبتي، وأجب دعوتي، وثَبِّتْ حُجَّتي، و سَدِّد لساني، واهد قلبي، واسلل سخيمة صدري»[1].

فكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يدعو بهذا الدعاء، ويجهر به ليتعلّمه الصحابة، ويبلغوه عنه لمن بعدهم، وهكذا إلى آخر الأمة، فهو من باب التعليم للأمة، فإنَّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم أطيب خلق الله تعالى صدراً وقلباً، وأنقاهم، وأتقاهم، وأزكاهم نفساً، صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

قوله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

الخصاصة هي الحاجة الشديدة، والمعنى: أَنَّهم يُقدِّمون المحاويج على حاجة أنفسهم، ويَبدؤن بالناس قبلهم في حال احتياجهم إلى ذلك.

وقدجاء في الصحيح عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أفضل الصدقة جُهد المُقِلِّ».

وروى البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: أتى رجل إلى

---

(١) رواه الترمذي وأبو داود وابن ماجه كما في (المشكاة)، ورواه الإمام أحمد بلفظ: «واسلل سخيمة قلبي»، والمراد بالسخيمة هنا: الحقد والضغينة كما في (النهاية) وغيرها.

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: يا رسول الله أصابني الجهد ـ يعني الجوع الشديد.

فأرسل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم إلى نسائه فلم يجد عندهنَّ شيئاً، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ألا رجل يُضيف هذا ـ أي: الرجل الجائع ـ الليلة رحمه الله».

فقام رجل من الأنصار فقال: أنا يا رسول الله.

فذهب إلى أهله فقال لامرأته: هذا ضيف رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، لا تَدَّخِريه شيئاً ـ أي: قدمي كل ما عندك من طعام ـ.

فقالت: والله ما عندي إلاَّ قوت الصبية.

قال ـ أي: الأنصاري لزوجته ـ: فإذا أراد الصبية العشاء فنوميهم، وتعالَيْ فأطفي السراج ـ أي: ونجلس معه ـ ولا نأكل ولكن نوهمه أننا نأكل معه، ونطوى بطوننا الليلة ـ ففعلتْ

ثم غدا الرجل على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لقد عجب الله عز وجل» أو «ضحك من فلان وفلانة» وأنزل الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾.

قال ابن كثير رحمه الله تعالى: وكذا رواه البخاري في موضع آخر، ومسلم والنسائي.

وفي رواية لمسلم: تسمية هذا الأنصاري بأبي طلحة الأنصاري رضي الله عنه. اهـ

ومن هذا الباب وأمثاله ما روى الحاكم وصححه، وابن

مردويه، والبيهقي في الشُّعَبِ عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: أُهديَ لرجل من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم رأس شاة، فقال: إنَّ أخي فلاناً وعياله أحوج إلى هذا مِنَّا، فبعث به إليهم، فلم يزل به يَبعث به واحداً واحداً إلى آخرهم، حتى تداولها سبعة أبيات، حتى رجعت إلى الأول، فكلٌّ منهم آثر غيره على نفسه، رضي الله تعالى عنهم، وعنّا بهم، اللهم آمين.

ومن هذا الباب وأمثاله ما جاء في الماء الذي عُرِض على عكرمة وأصحابه يوم اليرموك، فكلٌّ منهم يأمر بدفعه إلى صاحبه، وهو جريح مثقل أحوج ما يكون إلى الماء، فردَّه الآخر إلى الأول حتى ماتوا عن آخرهم، ولم يشربه أحد منهم[١] ـ رضي الله عنهم، وعنا بهم.

والحكايات في هذا الباب هي كثيرة جداً، نفعنا الله تعالى ببركاتهم.

ومن ذلك ما جاء في (موطأ) الإمام مالك رضي الله عنه، أَنَّه بلغه عن السيدة عائشة أم المؤمنين زوجة سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: (أَنَّ مسكيناً سألها وهي صائمة، وليس في بيتها إلا رغيف، فقالت لمولاة لها: أعطيه إياه.

فقالت: ليس لكِ ما تفطرين عليه.

فقالت أعطيه إيّاه.

قال: ففعلتْ.

فلما أمسينا أهدى لنا أهلُ بيت أوإنسان ما كان يهُدي لنا ـ أي:

---

(١) انظر (تفسير) ابن كثير وغيره.

ما كان له عادة سابقة يُهدي لنا شيئاً ـ أهدى لنا شاةً ـ أي: مشوية ـ وكفَّنَها ـ أي: ملفوفة بأرغفة الخبز ـ فدعتني عائشة رضي الله عنها فقالت: كُلي من هذا، فهذا خير من قرصك) ـ أي: رغيفك ـ.

قال العلامة القرطبي ـ بعدما نقل ذلك ـ: والسيدة عائشة رضي الله عنها في فعلها هذا من الذين أثنى الله تعالى عليهم، بأنهم يؤثرون على أنفسهم مع ماهم فيه من الخصاصة.

وذكر القرطبي عن ابن المبارك بإسناده: أَنَّ عمر بن الخطاب رضي الله عنه أخذ أربعمائة دينار فجعلها في صُرَّة، ثم قال للغلام اذهب بها إلى أبي عبيدة بن الجراح رضي الله عنه، ثم تَلَكَّأ ساعة في البيت ـ أي: امكث ـ حتى تنظر ماذا يصنع بها.

فذهب الغلام إلى أبي عبيدة رضي الله عنه، فقال له: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك.

فقال أبو عبيدة رضي الله عنه: وَصَله الله تعالى ورحمه.

ثم قال: تعالي يا جارية اذهبي بهذه السبعة إلى فلان وبهذه الخمسة إلى فلان ـ حتى أنفذها.

فرجع الغلام إلى عمر فأخبره، فوجده قد أَعدَّ مثلها لمعاذ بن جبل رضي الله عنه، وقال: اذهب بها إلى معاذ بن جبل رضي الله عنه، وتلكأ في البيت ساعة حتى تنظر ماذا يصنع بها.

فذهب بها إليه، فقال له: يقول لك أمير المؤمنين: اجعل هذه في بعض حاجتك.

فقال: رحمه الله تعالى ووصله.

وقال معاذ رضي الله عنه: يا جارية اذهبي إلى بيت فلان بكذا، وبيت فلان بكذا.

فاطَّلَعتْ امرأة معاذ فقالت: ونحن والله مساكين فأعطنا، ولم يبق في الخرقة إلا ديناران قد جاء بهما إليها ـ أي: امرأة معاذ رضي الله عنه ـ.

فرجع الغلام إلى عمر رضي الله عنه فأخبره، فَسُرَّ بذلك عمر رضي الله عنه وقال: إنهم إخوة بعضهم من بعض. اهـ.

رضي الله تعالى عنهم أجمعين، وعنا بهم ـ آمين.

ومن مناقب الأنصار وسخائهم رضي الله عنهم ما يلي:

جاء عن شهاب بن عباد، أنَّه سمع بعض وَفْد عبد القيس وهم يقولون: (قدمنا على رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فاشتدَّ فرحهم، فلما انتهينا إلى القوم أوسعوا لنا فقعدنا، فَرَحَّبَ بنا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ودعا لنا، ثم نظر إلينا فقال: «مَنْ سيدكم وزعيمكم»؟ فأشرنا جيمعاً إلى المنذر بن عائذ، فقال النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «أهذا الأشجُّ»؟ فكان أول يوم وضع عليه الإسم لضربة كانت بوجهه ـ.

قلنا: نعم يا رسول الله.

فتخلَّف ـ الأشج ـ بَعْد القوم، فعقل رواحلهم، وضمَّ متاعهم، ثم أخرج عيبته ـ وهي ما يَجعل المسافر فيه الثياب ـ فألقى عنه ثياب السفر، ولبس من صالح ثيابه، ثم أقبل إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وقد بسط النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم رجله واتكأ، فلما دنا منه الأشج أوسع القوم له، وقالوا: هَهنا يا أشجُّ.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم واستوى قاعداً، وقبض رجله: «هَهنا يا أشجُّ»، فقعد عن يمين رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فرحّب به، وألطفه، وسأله عن بلادهم، وسمَّى لهم قرية قرية: الصفا، والمشقّر، وغير ذلك من قُرى هجر.

فقال الأشج: بأبي أنت وأمي يا رسول الله، لأنتَ أعلم بأسماء قرانا منا.

فقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «إنيِّ وَطئتُ بلادكم، وفُسح لي فيها».

قال: ثم أقبل رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم على الأنصار فقال: «يا معشر الأنصار، أكرموا إخوانكم، فإنَّهم أشباهكم في الإسلام، وأشبه شيء بكم: أشعاراً وأبشاراً، أسلَموا طائعين غير مكرهين، ولا موتورين - إذْ أبى قوم أن يُسلموا حتى قُتلوا».

قال: فلما أصبحوا قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «كيف رأيتم كرامة إخوانكم لكم، وضيافتهم إياكم»؟.

قالوا: خير إخوان، ألانوا فرشنا؛ وأطابوا مطعمنا، وباتوا وأصبحوا يُعلموننا كتاب ربِّنا تبارك وتعالى، وسنة نبينا صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فأعجب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وفرح).

قال الحافظ المنذري: هذا الحديث بطوله رواه أحمد بإسنادٍ صحيح. اهـ.

قوله تعالى: ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾.

والمعنى: ومَنْ يُوق بتوفيق الله تعالى ومعونته شح نفسه، حتى يخالفها فيما يَغلب عليها من حب الإمساك، وبغض الإنفاق، فأولئك هم المفلحون الفائزون بكل مطلوب، الناجون من كل مكروه.

والشح: هو البخل الشديد.

روى ابن المنذر عن الحسن البصري رضي الله عنه أنه قال: البخل أَنْ يبخل الإنسان بما في يده، والشح أَنْ يشحَّ على ما في أيدي الناس. اهـ.

أي: فهو بخيل بما عنده، ويبخل بما في أيدي الناس ويصعب عليه إن أنفق غيره وأعطى وبذل.

قال تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ وَيَأْمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلْبُخْلِۗ وَمَن يَتَوَلَّ فَإِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْغَنِيُّ ٱلْحَمِيدُ﴾.

وقد جاءت الأحاديث الكثيرة في ذم الشح والبخل، وبيان قبْحهما:

روى مسلم عن جابر رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «اتقوا الظلم فإنَّ الظلم ظلمات يوم القيامة، واتقوا الشُّحَّ، فإنَّ الشح أهلك من كان قبلكم: حملهم على أن سَفكوا دماءهم واستحلُّوا محارمهم».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إيّاكم والفحش، والتفحش[1]، فإنَّ الله لايحب

---

(١) الفاحش: هو ذو الفحش والغلظة في كلامه وأفعاله، والمتفحش: هو =

الفاحش المتفحش، **وإياكم** والظلم؛ فإنه هو الظلمات يوم القيامة، **وإيّاكم** والشُّحَّ؛ فإنه دعا مَنْ كان قبلكم، فسفكوا دماءهم، ودعا من كان قبلكم فقطعوا أرحامهم، ودعا من كان قبلكم فاستحلُّوا حرماتهم»[١].

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يجتمع غبار في سبيل الله ودخان جهنم في جوف عبد أبداً، ولا يجتمع شحٌّ وإيمان في قلب عبد أبداً».

قال المنذري: رواه النسائي، وابن حبان في (صحيحه) والحاكم واللفظ له. اهـ.

وعن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لا يدخل الجنة خَبٌّ ولا مَنَّان ولا بخيل»[٢] رواه الترمذي.

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «خلق الله تعالى جنة عدن بيده، ودَلَّى فيها ثمارها، وشَقَّ فيها أنهارها، ثم نظر إليها فقال لها: تكلَّمي، فقالت: قد أفلح المؤمنون.

فقال: وعزتي وجلالي لا يجاورني فيك بخيل»[٣].

= الذي يتكلف ذلك ويتعمده، والفحاش هو شديد الفحش.

(١) قال المنذري: رواه ابن حبان في (صحيحه)، والحاكم واللفظ له وقال: صحيح الإسناد. اهـ

(٢) قال المنذري: الخَبُّ بفتح الخاء وتكسر هو الخَدَّاع الخبيث.

(٣) رواه الطبراني في (الكبير والأوسط) بإسنادين أحدهما جيد، ورواه ابن أبي الدنيا. اهـ كما في (الترغيب).

وعن أم المؤمنين، الصديقة بنت الصديق، حبيبة حبيب الله صلى الله عليه وسلم المبرأة في كتاب الله تعالى، السيدة الكبرى عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما جُبِل وليٌّ الله عز وجل إلاَّ على السخاء، وحسن الخلق»[1].

فائدة وبالخيرات عائدة، علَّمها الحبيب الأعظم صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأمته وهي ما يلي:

روى ابن مَرْدُويَه عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يقول إذا قضى صلاته: «اللهم إنيِّ أسألك بحق السائلين عليك فإنَّ للسائلين عليك حقاً[2]، أيُّما عبد أو أمة من أهل البر والبحر، تَقَبَّلْت دعوتهم، واستجبتَ دعاءهم، أَنْ تُشْرِكَنَا في صالح ما يدعونك به، وأَنْ تُعافِينا وإيَّاهم، وأن تتقبل منا ومنهم، وأَنْ تتجاوز عنا وعنهم، فإنَّا آمنا بما أنزلتَ واتبعنا الرسول فاكتبنا مع الشاهدين».

وكان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «لا يتكلَّم بهذا أحد من خلق الله تعالى ـ أي: المسلمين ـ إلاَّ أشركه الله تعالى في دعوة أهل برهم وبحرهم، فَعَمَّتْهُم وهو في مكانه» كما في (الدر المنثور) وغيره؟.

---

(١) قال المنذري: رواه أبو الشيخ.

(٢) أي: وهو سبحانه وتعالى وعدهم بالإجابة: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِىٓ أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ فهو سبحانه وتعالى حقّ على نفسه أن يُجيب من دعاه؛ فضلاً منه وكرماً.

ومن أشح الأشحاء، وأبخل البخلاء: الأغنياء الذين لا يؤدون زكاة أموالهم.

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ ۗ وَلِلَّهِ مِيرَٰثُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾.

جاء في الحديث عن ابن مسعود رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ما من أحدٍ لا يُؤَدِّي زكاة ماله إلا مُثِّل له يوم القيامة شجاعاً[1] أقرع، حتى يطوّق به عنقه» ثم قرأ علينا النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم مصداقه من كتاب الله تعالى: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم﴾ الآية.

قال الحافظ المنذري: رواه ابن ماجه واللفظ له، والنسائي بإسناد صحيح، وابن خزيمة في (صحيحه).

الله تعالى فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم؛ بقدر الذي يسع فقراءهم، ويسدُّ حاجتهم، فإنه الشارع العليم الحكيم:

جاء في الحديث عن أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنّ الله فرض على أغنياء المسلمين في أموالهم بقدر الذي يسع فقراءهم، ولن يجهد

---

(١) قال المنذري: الشُّجَاع بضم الشين المعجمة وكسرها: هو الحيّة، وقيل: الحية الذكر خاصة، وقيل: نوع من الحيات، قال: والأقرع الذي ذهب شعر رأسه من طول عمره. اهـ والمعنى أنه حية خبيثة رهيبة كبيرة.

الفقراء إذا جاعوا وعروا إلا بما يصنع أغنياؤهم» ـ أي: بأن يشحُّوا فلا يؤدوا زكاة أموالهم تامَّة.

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم في تمام الحديث: «ألا وإنَّ الله تعالى يُحاسبهم حساباً شديداً، ويعذبهم عذاباً أليماً».

قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في (الأوسط والصغير). اهـ.

وعن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ويل للأغنياء من الفقراء يوم القيامة، يقولون: ربنا ظلمونا ـ أي: الأغنياء ـ حقوقنا التي فرضتَ لنا عليهم، فيقول الله عز وجل: وعزتي وجلالي لأدنينكم ولأباعدنَّهم».

ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾[1].

ومعنى لأدنينكم أي: لأقربنكم من رحمتي وكرامتي.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من آتاه الله مالاً فلم يُؤدِّ زكاته: مُثِّلَ له يوم القيامة شجاعاً أقرع له زبيبتان[2] يُطوِّقه يوم القيامة، ثم يأخذ بِلهزمَتيه ـ يعني شدقيه ـ ثم يقول: أنا مالكَ أنا كنزكَ» ثم تلا هذه الآية: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ يَبْخَلُونَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ هُوَ خَيْرًا لَّهُم ۖ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ ۖ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا۟ بِهِۦ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ﴾ الآية.

---

(١) قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في (الصغير والأوسط)، وأبو الشيخ في كتاب (الثواب).

(٢) قال في (النهاية): زبيبتان: الزبيبة نقطة سوداء فوق عين الحية، وقيل: هما نقطتان تكتنفان فاها. اهـ.

قال الحافظ المنذري: رواه البخاري ومسلم. اهـ

ومن عقوبات من لم يؤدِّ زكاة ماله ـ أنه عند الموت يتمنى أن يرجع إلى الدنيا ليؤدِّي ما عليه، ويسأل الرجعة؛ وأنَّى له ذلك، وتعتريه الحسرات والمخاوف:

روى الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: مَنْ كان له مال يبلغه بيت ربه، أو تجب فيه زكاة؛ فلم يفعل، سأل الرجعة عند الموت.

فقال رجل: اتق الله يا ابن عباس، فإنما يسأل الرجعة الكفار.

فقال ابن عباس رضي الله عنهما: سأتلوا عليكم بذلك قرآناً: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تُلۡهِكُمۡ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِۚ وَمَن يَفۡعَلۡ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ۝٩ وَأَنفِقُواْ مِن مَّا رَزَقۡنَٰكُم مِّن قَبۡلِ أَن يَأۡتِيَ أَحَدَكُمُ ٱلۡمَوۡتُ فَيَقُولَ رَبِّ لَوۡلَآ أَخَّرۡتَنِيٓ إِلَىٰٓ أَجَلٖ قَرِيبٖ فَأَصَّدَّقَ وَأَكُن مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ۝١٠ وَلَن يُؤَخِّرَ ٱللَّهُ نَفۡسًا إِذَا جَآءَ أَجَلُهَاۚ وَٱللَّهُ خَبِيرُۢ بِمَا تَعۡمَلُونَ﴾[١].

☆ ☆ ☆

---

(١) انظر (تيسير الوصول) وقد ذكرت في كتاب: (الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها) جملة من الأحاديث الواردة في عقوبة تارك الزكاة لم أذكرها هنا ـ فارجع إليها.

ذكرى

أبخل الناس من بخل بالصلاة على النبي صلى الله عليه وآله وسلم إذا ذُكر.

روى ابن أبي عاصم، عن أبي ذر رضي الله عنه قال: خرجت ذات يوم، فأتيت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم فقال: «ألا أخبركم بأبخل الناس»؟

قالوا: بلى يا رسول الله.

قال: «مَن ذكرتُ عنده فلم يصلِّ عليَّ فذلك أبخل الناس» كما في (ترهيب) المنذري.

وعن سيدنا الحسين رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «البخيل - أي: البخيل أشدّ البخل - مَنْ ذُكرتُ عنده فلم يصلِّ عليّ» صلى الله عليه وآله وسلم كلّما ذكر.

قال الحافظ المنذري: رواه النسائي، وابن حبان في (صحيحه) والحاكم وصححه، والترمذي وزاد في سنده علي بن أبي طالب رضي الله عنه - أي: رواه سيدنا الحسين عن سيدنا علي رضي الله عنهما؛ وقال الترمذي: حديث حسن صحيح غريب. اهـ

وعن سيدنا الحسين بن سيدنا علي رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَن ذُكرتُ عنده فخطيء

الصلاة عليَّ ـ أي: لم يصل عليَّ ـ خطىء طريق الجنة».

قال المنذري: رواه الطبراني، وروي مرسلاً عن محمد بن الحنفية.

قال: وفي رواية لابن أبي عاصم، عن محمد بن الحنفية قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «مَنْ ذكرت عنده فنسي الصلاة عليّ خَطِيءَ طريق الجنة».

قال: وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من نسي الصلاة عليَّ خطىء طريق الجنة» رواه ابن ماجه والطبراني وغيرهما. اهـ

وقد ذكرت عِدَّةً من الأحاديث الواردة في الترهيب والتحذير من ترك الصلاة عليه إذا ذكر صلى الله عليه وعلى آله وسلم، ذكرت ذلك في كتاب: (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم).

اللهم صلى على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، وعلينا معهم أجمعين، كلَّما ذكرك الذاكرون، وكلما غفل عن ذكرك الغافلون، واجعلنا يا مولانا من أهل شفاعاته الخاصة ـ اللهم آمين.

ويرحم الله تعالى القائل:

تشفَّـع يـا رسـول الله فينـا ... فما نرجوا الشفاعة مِنْ سواكا

أغِـث يـا خير خلـق الله قومـاً ... ضعـافـاً ظلُّهـم أبـداً لِـواكـا

وأسـرع في إجـابتنـا فـإنّـا ... نرى المولى يُسارع في رضاكا

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

صلى الله تعالى عليك وعلى آلك وسلم تسليماً يا سيدي يا رسول الله.

نعم قال الله تعالى: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَىٰهَا﴾ الآية.

وقد جاء في الحديث ـ المتفق عليه ـ عن السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزلت: ﴿تُرْجِي مَن تَشَآءُ مِنْهُنَّ وَتُـْٔوِيٓ إِلَيْكَ مَن تَشَآءُ﴾.

قلت: يا رسول الله ما أرى ربَّك إلا يسارع في هواك.

أي: فيما تحبه، فالمراد بالهوى هنا المحبة.

ويرحم الله تعالى القائل:

فيا أيّها الحيران في ظلمة الدُّجَى ومَن خاف أن يلقاه بغي مِن العِدا
تعال إليه تلق من نور وجهه دَليلاً ومن كفَّيه بحراً من الندى

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

ويرحم الله تعالى القائل في مناجاته لربه سبحانه:

إلى بابكَ العالي مددتُ يد الرجا ومَن جاء ذاك الباب لايختشي الردى
سألتُك ياالله متشفعاً بمن ضيا وجهه الوضّاء يبرق في الدجى
وهبْ لي رضواناً وحسِّن عواقبي فأنت كريم لا تردُّ مَنْ التجا
وصلِّ إلٰهي كل آنٍ ولمحةٍ على خير رُسْل الله هدياً ومنهجا

صلى الله عليه وعلى آله وسلم

روى الترمذي، عن أبي عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر رضي الله عنهم قال: قلت: للرُبيِّع بنت معوذ رضي الله عنها: صفي لنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فقالت: «يا بنيّ لو رأيته صلى الله عليه وسلم لرأيتَ الشمسَ طالعة».

وروى الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: «ما رأيت شيئاً أحسن من رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، كأنَّ الشمس تجري في وجهه صلى الله عليه وعلى آله وسلم».

اللهم بأكرميَّته عليك أَفِض علينا من أسراره وأنواره، وبركاته وإشراقاته، صلى الله عليه وعلى آله وسلم في كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله تعالى العظيم.

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ وَلَا تَجۡعَلۡ فِي قُلُوبِنَا غِلّٗا لِّلَّذِينَ ءَامَنُواْ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٞ رَّحِيمٌ﴾.

في هذه الآية الكريمة، يمدح الله تعالى المؤمنين المتصفين بهذه الصفات الكريمة:

قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعۡدِهِمۡ﴾:

أي: جاؤوا من بعد الفريقين: المهاجرين والأنصار إلى يوم القيامة، فالمجيء إلى الوجود والإيمان؛ وهذا شامل لجميع المؤمنين إلى يوم الدين، بدليل قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغۡفِرۡ لَنَا وَلِإِخۡوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلۡإِيمَٰنِ﴾ فإنّ هذه هي أُخوة الإيمان، فتشمل كلَّ مؤمن، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ وما أشرف هذه الأُخوة، وما أفضلها، وما أكرمها، إنّها أُخوة عقدها الله تعالى بين سائر المؤمنين، وأوجب لها حقوقاً، وهو سبحانه الذي عقد تلك الأُخوة، وهو الذي سوف يسألهم عنها، فأَوْعِ سمعك وقلبك أيها

العاقل لقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾، وارعَ الأخوة حقوقها، وآدابها ومطالبها.

ومما يشهد لعموم تلك الآية الكريمة[1]، وشمولها لجميع المؤمنين الذين جاؤوا بعد المهاجرين والأنصار - إلى يوم الدِّين، يشهد لذلك ما تقدم في الحديث الذي رواه مسلم وغيره قوله صلى الله عليه وسلم: «وددتُ أنَّا قد رأينا إخواننا».

قالوا: ألسنا إخوانك يا رسول الله؟

قال: «أنتم أصحابي، وإخواننا الذين لم يأتوا بعد» الحديث تقدم برواياته.

فالمراد جميع المؤمنين الآتين إلى يوم الدين، فإنَّهم كلهم إخوة.

ومن شأن الأخ أن يدعو بالمغفرة لنفسه، ولأخيه في الشهادة؛ وفي ظهر الغيب.

وفي الحديث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما من عبد مسلم يدعو لأخيه بظهر الغيب إلاّ قال الملك: ولك بمثلٍ» رواه مسلم، وأبو داود وزاد: «إلا قالت الملائكة: آمين ولك بمثل» كما في (التيسير).

وفي ذلك وفاء بحق الأخوة، وصدق المحبة بين المؤمنين.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

---

(١) أي: قوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَآءُو مِنۢ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾ الآية.

في هذه الآية الكريمة دليل على وجوب الاهتمام بدعاء المغفرة، فإنَّ أحوج ما يكون إليه الإنسان أن يغفر الله تعالى ذنوبه، ومهما عَلَتْ رُتْبة العبد، وسَمتْ منزلته، وارتفعتْ درجته، فإنَّه محتاج إلى مغفرة الله تعالى ورحمته.

والمغفرة هي: كلمة تدل على الستر والوقاية، ومنه سُمِّي المِغْفَر وهو الذي يُلبس على الرأس في الحروب، توقياً من الضرب والأذى، فالمغفرة هي: وقاية من شر الذنوب مع سترها.

وقد أمر الله تعالى عباده بالاستغفار:

قال تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾، وقال تعالى: ﴿وَأَنِ ٱسْتَغْفِرُوا۟ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوٓا۟ إِلَيْهِ﴾ الآية.

روى مسلم في (صحيحه) عن أبي ذر رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فيما يرويه عن ربه عز وجل أنه قال: «يا عبادي إني حرّمتُ الظلم على نفسي؛ وجعلته بينكم محرَّماً فلا تظالموا.

يا عبادي كلُّكم ضال إلا من هديته، فاستهدوني أهدكم.

يا عبادي كلكم جائع إلا من أطعمته؛ فاستطعموني أُطعمكم.

يا عبادي كلكم عارٍ إلاَّ من كسوته، فاستكسوني أكسكم.

يا عبادي إنَّكم تُخْطئون بالليل والنهار، وأنا أغفر الذنوب جميعاً، فاستغفروني أغفر لكم.

يا عبادي إنَّكم لن تبلغوا ضرِّي فتضروني، ولن تبلغوا نفعي فتنفعوني.

يا عبادي لو أَنَّ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على

أتقى قلب رجل واحدٍ منكم؛ ما زاد ذلك في ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أَنَّ أوَّلكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم؛ ما نقص ذلك من ملكي شيئاً.

يا عبادي لو أَنَّ أولكم وآخركم، وإنسكم وجنكم، قاموا في صعيد واحدٍ، فسألوني، فأعطيت كل واحدٍ مسألته؛ ما نقص ذلك مما عندي؛ إلا كما ينقص المِخيط إذا أُدخل البحر.

يا عبادي إِنَّما هي أعمالكم أُحصيها لكم، ثم أُوَفِّيكم إِيَّاها، فمن وجد خيراً فليحمد الله، ومَنْ وَجد غير ذلك فلا يلومنّ إلا نفسه».

فالعبد مهما كثرت ذنوبه، واتسعت رقعتها، فإنَّ مغفرة الله تعالى أَوْسع، لا تضيق عن ذنوب العباد، بل هي واسعة على وجه لا يعلمه إلا الله تعالى.

قال تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ وَاسِعُ ٱلْمَغْفِرَةِۚ﴾ الآية.

جاء في الحديث عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «قال الله تعالى: **يا ابن آدم** إنَّك ما دعوتني ورجوتني: غفرتُ لك على ما كان منك ولا أُبالي.

يا ابن آدم لو بلغتْ ذنوبك عَنان السماء[1]، ثم استغفرتني؛ غفرت لك ولا أبالي.

يا ابن آدم إنَّك لو أتيتني بقُراب الأرض خطايا، ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً، لأتيتك بقرابها[2] مغفرة[3]».

---

(١) العَنان: بفتح العين المهملة هو السحاب.

(٢) قُراب الأرض: بضم القاف ما يقارب مِلأَها.

(٣) رواه الترمذي كما في (الترغيب) وغيره.

وفي ذلك تحريض للمذنبين، وحثٌّ لهم على المسارعة إلى الاستغفار من ذنوبهم، لينالوا مغفرة الله تعالى ورحمته؛ فإنَّ الله تعالى يحب التوابين، ويحب المتطهرين، ويحب من عبده أَنْ يستغفره ليغفر له.

روى ابن ماجه بإسنادٍ جيد، عن أبي هريرة رضي الله عنه، أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «لو أخطأتم حتى تبلغ السماء؛ ثم تُبتم لتاب الله عليكم».

وروى الإمام أحمد بإسناده عن أنس رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يقول: «والذي نفسي بيده: لو أخطأتم حتى تملأ خطاياكم ما بين السماء والأرض؛ ثم استغفرتم الله لغفر لكم».

فما أعظم كرم الله تعالى، وما أوسع مغفرته ورحمته جل وعلا.

روى الحاكم عن جابر رضي الله عنه، أَنَّ رجلاً جاء إلى النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهو يقول: وَاذنوباه ـ مرتين أو ثلاثاً.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «قل: اللهم مغفرتك أوسع من ذنوبي، ورحمتك أرجى عندي من عملي».

فقالها.

ثم قال له صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «عد» فعاد، ثم قال له: «عد» فعاد ـ أي: أعاد ذلك الدعاء ـ.

فقال له النبي صلى الله عليه وسلم: «قم، قد غفر الله لك».

وينبغي للمسلم أن يُكثر من الاستغفار، فإنَّه يجلو القلب، ويُذهب عنه ظلمة الذنب.

روى البيهقي عن أنس رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إن للقلوب صَدَأً كصدأ النحاس؛ وجلاؤها الاستغفار».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «إنَّ العبد إذا أخطأ خطيئةً نُكتت في قلبه نكتة سوداء، فإذا هو نزع واستغفر وتاب: صقل قلبه، وإنْ عاد زِيدَ فيها؛ حتى تعلو قلبه، وهو الرانُ الذي ذكر الله تعالى: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾» رواه الترمذي وصححه[1].

والإكثار من الاستغفار يفرِّج الهموم، ويُوَسِّع الرزق:

جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من لزم الاستغفار: جعل الله تعالى له من كل همٍّ فرجاً، ومن كل ضيق مخرجاً، ورزقه من حيث لا يحتسب»[2].

وعن عبد الله بن بُسر رضي الله عنه قال: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم يقول: «طوبى لمن وُجد في صحيفته استغفار كثير»[3].

وعن الزبير رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) انظر (تيسير الوصول) و(ترغيب) المنذري.
(٢) قال المنذري: رواه أبو داود والنسائي وابن ماجه، والحاكم وصححه.
(٣) رواه ابن ماجه بإسناد صحيح، والبيهقي كما في (الترغيب).

وسلم قال: «مَنْ أحبَّ أن تَسُرَّه صحيفته فليكثر فيها من الاستغفار»[1].

والاستغفار هو: طلب المغفرة من الله تعالى.

وقد ذكر الله تعالى الاستغفار في القرآن في مواضع كثيرة؛ فمنها على طريق الأمر به كقوله تعالى: ﴿وَٱسْتَغْفِرُوا۟ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

ومنها على طريق المدح للمستغفرين كقوله تعالى: ﴿وَٱلْمُسْتَغْفِرِينَ بِٱلْأَسْحَارِ﴾، وقوله تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾.

ومنها ما فيه بيان أنَّ الله تعالى يَغفر لمن استغفره كقوله تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾.

قوله تعالى: ﴿يَقُولُونَ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ﴾.

في هذا دليل على أنَّ موجب الإيمان؛ أن يكون أحب شيء إلى المؤمن هو أَن يغفر الله تعالى له ذنوبه، قال تعالى: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

فأحبُّ ما يكون للمؤمن هو أَن يغفر الله تعالى له، فهو يحب ذلك لنفسه؛ وهذا الذي يحبه لنفسه يحبه لإخوانه المؤمنين؛ وهذا أيضاً واجب إيمانه، وذلك بأن يحب لأخيه ما يحب لنفسه ويكره له

---

(١) قال المنذري: رواه البيهقي بإسناد لا بأس به. اهـ.

ما يكره لنفسه، كما جاء في الحديث المتفق عليه: عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه»، وزاد النسائي في روايته: «من الخير».

وإن حُبَّ الشيء يستلزم بغض نقيضه، فالمؤمن يحب الخير لنفسه ولأخيه المؤمن، ويكره الشرَّ لنفسه ولأخيه المؤمن.

وإن أَوْلى من تدعو له بالمغفرة هما والداك، فإنَّ الاستغفار لهما هو من البر الواجب عليك: في حياتهما وبعد مماتهما:

روى أبو داود عن أبي أسيد مالك بن ربيعة الساعدي، أنَّ رجلاً قال يا رسول الله: هل بَقِي من برِّ أبويَّ شيء أبرهما به بعد موتهما؟

فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «نعم: الصلاة عليهما، والاستغفار لهما، وإنفاذ عهدهما من بعدهما، وصلة الرحم التي لا تُوصل إلا بهما، وإكرام صديقهما» كذا في (التيسير).

وقد تكلمت على فضائل الاستغفار، وفضائل بعض الصيغ الواردة في الاستغفار؛ وآثار الاستغفار، تكلمت على ذلك كلاماً مفصلاً بحمد الله تعالى وتوفيقه في كتاب (الدعاء) فارجع إليه؛ تجد ما ينفعك إن شاء الله تعالى.

ويرحم الله تعالى القائل:

يا مَنْ إليه بجوده أتوسل ... وعليه في كل الأمور أُعوِّل

أدعوك رب تضرعاً وتذللاً ... فإذا رددتَ يدي فمن ذا أسأل

قد قادني أملي إليك ودلَّني ... فقري إليك وفاقة وتذلُّلُ

وعلمتُ أنّك لا تخيِّب آملاً ... أضحى لجودك يا كريم يُؤمِّل

فبنور وجهك كُنْ لذنبي غافراً فعليك في غفرانه أتوكَّل

ورضي الله تعالى عن الإمام الشافعي القائل:

ولما قسا قلبي وضاقتْ مذاهبي جعلتُ الرجا مني لعفوك سُلَّما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك ربِّي كان عفوك أعظما

ويرحم الله تعالى القائل:

أنا مذنب أنا مخطىء أنا عاصي هو غافر هو راحم هو عافي
قابلتهنَّ ثلاثة بثلاثة وستغلبنْ أوصافه أوصافي

ويرحم الله تعالى القائل:

يا ربِّ إن عظمت ذنوبي كثرةً فلقد علمت بأن عفوك أعظم
إن كان لا يرجوك إلاّ محسن فبمن يلوذ ويستجير المجرم
مالي إليك وسيلة إلا الرجا وجميل عفوك ثم أني مسلم

ويرحم الله تعالى القائل:

يا كثير الذنب عفـ ـو الله من ذنبك أكبر
ذنبك أعظم الأشياء في جانب عفو الله يُغفر

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟﴾.

أي: لا تجعل في قلوبنا حقداً، وضغناً للذين آمنوا، سواء في ذلك الذين مَضَوا، أو الذين بقوا من المعاصرين.

وفي هذه الآية الكريمة بيان خَطر الغِلِّ على المؤمنين، وأنه مرض شديد من أمراض القلوب الخطيرة، التي يجب على المؤمن أن يستعين بالله تعالى على إزالتها من قلبه، وتصفية قلبه منها؛ ومن سائر أمراض القلوب، فإنَّها تُسقم القلب وتظلمه، وهي تُعدُّ من الكبائر المهلكة؛ كالحسد والبغضاء، أو الشحناء والغش، والبخل والشح؛ إلى ما هنالك من الداءات القلبية.

فالواجب على المسلم أن يكون قلبه سليماً من تلك العلل كلها.

وقد قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنَّ الله تعالى لا ينظر إلى صُوركم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم» الحديث.

ومن أقبح القبائح أن ينظر الله تعالى إلى قلبك أيها المسلم فيرى فيه ما لا يُرضيه قال تعالى: ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِىٓ أَنفُسِكُمْ فَٱحْذَرُوهُ﴾ الآية.

وقد عَلَّم النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أمته، وأرشدهم إلى إصلاح السرائر والعلانية:

روى الترمذي عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: علَّمني رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فقال:

«قل: اللهم اجعل سريرتي خيراً من علانيتي؛ واجعل علانيتي صالحة، اللهم إني أسألك من صالح ما تُؤتي الناس من الأهل والمال والولد؛ غير الضّالّ ولا المضلِّ» كذا في (جامع الأصول)، وهذا الدعاء ليس خاصاً بعمر رضي الله عنه؛ بل هو عام لجميع الأمة، ولذلك بلّغه عمر رضي الله عنه لمن بعده، حتى انتهى إلينا ـ وهكذا جميع تعليماته صلى الله عليه وسلم للصحابة، ليست هي خاصة بهم بل هي تعاليم وإرشادات لأمته جمعاء صلى الله عليه وآله وسلم.

وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَآئِنَةَ ٱلْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِى ٱلصُّدُورُ﴾.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «إياكم والظن فإنَّ الظن أكذب الحديث، ولا تجسَّسُوا، ولا تحسسوا، ولا تنافسوا، ولا تحاسدوا، ولا تباغضوا،

ولا تدابروا، وكونوا عباد الله إخواناً كما أمركم الله تعالى، المسلم أخو المسلم: لا يظلمه، ولا يخذله، ولا يحقره، بحسب امرىءٍ من الشر أَنْ يحقر أخاه المسلم، كلُّ المسلم على المسلم حرام: ماله ودمه وعرضه.

إن الله تعالى لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم، التقوىٰ هٰهنا، التقوىٰ هٰهنا، التقوىٰ هٰهنا ـ ويشير إلى صدره الشريف صلى الله عليه وعلى آله وسلم ثلاث مرات ـ ألا لا يبع بعضكم على بيع بعض، وكونوا عباد الله إخواناً، ولا يحل لمسلم أن يهجر أخاه فوق ثلاث».

قال في (التيسير): أخرجه الستة إلاّ النسائي وهذا لفظ مسلم اهـ.

ومن إرشاداته صلى الله عليه وآله وسلم، وتعاليمه للأمة ما فيه خير الدنيا والدين ما رواه الترمذي عن معاذ رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: «اتق الله حيثما كنت، وأتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن» رواه الترمذي وقال حديث حسن، وفي بعض النسخ: حسن صحيح كما في (الأربعين) للإمام النووي.

فالواجب على المسلمين أن يتعاملوا بالتحابب، والتناصح، وحسن الخلق، وسوف يُسألون عن ذلك كله.

ومن تعاليمه وإرشاداته صلى الله عليه وآله وسلم إلى حسن الطوية، وسلامة القلب، ما جاء في الحديث عن شداد بن أوس رضي الله عنه، أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان يقول: «اللهم إني أسألك الثبات في الأمر، والعزيمة على الرشد ـ وفي

رواية: «عزيمة الرشد» ـ وأسألك شكر نعمتك، وحسن عبادتك، وأسألك لساناً صادقاً، وقلباً سليماً، وأعوذ بك من شر ما تعلم، وأسألك من خير ما تعلم، وأستغفرك مما تعلم؛ إنّك أنت علام الغيوب»[1].

وفي رواية النسائي: (كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعلمنا أنْ نقول في الصلاة) وذكر الحديث.

ومعنى: «**الثبات في الأمر**» أي: الثبات في الأمر النافع، وأهمُّ ذلك الثبات على الدين، والاستقامة عليه، والثبات عند الاحتضار، وعند السؤال.

ومعنى: «**العزيمة على الرشد**» أي: أعطني العزيمة على ما فيه حُسن التصرف، والأمر النافع، في الدين والدنيا.

ففي هذا الدعاء وغيره، تعاليم للأمة، بدليل أنّه صلى الله عليه وعلى آله وسلم كان يجهر بها حتى يَسمعها الصحابة ويحفظوها، ثم بَلغوها لمن بعدهم حتى وصلت إلينا.

فجزى الله تعالى عنا هذا النبي الكريم، والرسول العظيم، الرؤوف الرحيم بالمؤمنين؛ سيدنا محمداً صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما هو أهله.

ومن صفات المفلحين سلامة القلب:

روى الإمام أحمد عن أبي ذر رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى

---

(١) رواه الترمذي والنسائي، والحاكم وصححه كما في (الجامع الصغير) و(شرحه).

الله عليه وآله وسلم قال: «قد أفلح من أخلص قلبه للإيمان، وجعل قلبه سليماً، ولسانه صادقاً، ونفسه مطمئنة، وخليقته مستقيمة، وأذنه مستمعة، وعينه ناظرة»[1].

وقد بين النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم **الأسباب التي تُذهب الغِلَّ، وتورث التحابب، ومن أعظمها** ما رواه مالك في (الموطأ) عن عطاء الخراساني، أَنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «تصافحوا يَذهب الغِلُّ، وتهادوا تحابُّوا؛ وتذهب الشحناء» كذا في (التيسير).

فالمصافحة تُذهب الغِلَّ من القلوب، وهي تدل على حسن الطوية، وصفاء السريرة، وهي صفة المؤمنين.

فعن أنس رضي الله عنه قال: (كان أصحاب النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم إذا تلاقَوا تصافحوا، وإذا قدموا من سفر تعانقوا)[2].

وإن مصافحة المسلِمَيْن إذا التقيا هي من أعظم أسباب المغفرة لهما:

روى أبو داود والترمذي، عن البراء رضي الله عنه قال: قال

---

(١) كذا في (الجامع الصغير) رامزاً لحسنه، وقال الحافظ الهيثمي: إسناده حسن، ورواه البيهقي أيضاً، ومعنى: «خليقته مستقيمة» أي: سجيّته وطبيعته، بحيث يُخالق الناس بخلق حسن، و«أذنه مستمعة» أي: من الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه، «وعينه ناظرة» نظر اعتبار وتفكر.

(٢) قال المنذري: رواه الطبراني، ورواته محتج بهم في الصحيح. اهـ.

رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما من مسلمين يلتقيان فيتصافحان إلاَّ غُفر لهما قبل أن يتفرّقا».

وفي رواية لأبي داود: قال صلى الله عليه وآله وسلم: «إذا التقى المسلمان فتصافحا، وحمدا الله، واستغفراه ـ غُفر لهما» كما في (الترغيب).

وعن سلمان الفارسي رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إن المسلم إذا لقي أخاه، فأخذ بيده ـ أي: تصافحا ـ تَحَاتَّتْ ـ أي: تساقطت ـ عنهما ذنوبهما كما يتحاتُّ الورق عن الشجرة اليابسة في يوم ريح عاصف، وإلاَّ غفر لهما ولو كانت ذنوبهما مثل زبد البحر».

قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني بإسناد حسن. اهـ

وعن حذيفة بن اليمان رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «إنَّ المؤمن إذا لقي المؤمن فسلَّم عليه، وأخذ بيده فصافحه، تناثرت خطاياهما: كما يتناثر ورق الشجر» رواه الطبراني في (الأوسط)، قال المنذري: ورواته لا أعلم فيهم مجروحاً. اهـ

وإنَّ المصافحة تُنزل الرحمة على المسلمَين المتصافحين:

روى البزار عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إذا التقى الرجلان المسلمان، فسلَّم أحدهما على صاحبه، فإنَّ أحبهما إلى الله تعالى أحسنهما بشراً بصاحبه، فإذا تصافحا نزلت عليهم مائة رحمة، وللبادىء منهما تسعون وللمصافَح عشرة» كذا في (الترغيب).

وعن قتادة قال: قلت لأنس بن مالك رضي الله عنه: أكانت

المصافحة في أصحاب رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟

فقال: (نعم) رواه البخاري.

من آفات الحقد والشحناء بين المسلمين

يجب على المسلم أن يَعلم أن الحقد والشحناء لهما آفات ومضارٌّ كبيرة خطيرة، قد بينها رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم وهي كثيرة فمنها:

١ ـ تمنع رفع الصلوات:

فقد جاء في الحديث عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ثلاثة لا تُرفع صلاتهم فوق رأسهم شبراً: رجل أَمَّ قوماً وهم له كارهون، وامرأة باتت وزوجها عليها ساخط، وأخَوَان متصارمان» أي: متباغضان ومتنافران.

قال المنذري: رواه ابن ماجه واللفظ له، وابن حبان في (صحيحه) إلا أنه قال: «ثلاثة لا يُقبل لهم صلاة» فذكر نحوه. اهـ.

٢ ـ روى الطبراني وغيره، عن أسامة بن زيد رضي الله عنهما، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «تُعرضُ الأعمال على الله تعالى يوم الإثنين والخميس، فيغفر الله؛ إلا ما كان من متشاحنين، أو قاطع رحم».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «تُعرض الأعمال في كل اثنين وخميس، فيغفر الله عز وجل في ذلك اليوم لكل امرىء لا يشرك بالله شيئاً، إلا امرءاً

كانت بينه بين أخيه ـ أي: المسلم ـ شحناء فيقول: اتركوا هذين حتى يصطلحا».

رواه مالك وأصحاب السنن كما في (ترهيب) المنذري؛ قال: وفي رواية لمسلم: أنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «تفتح أبواب الجنة يوم الإثنين والخميس، فيغفر لكل عبد لا يشرك بالله شيئاً؛ إلا رجلاً كانت بينه وبين أخيه شَحناء، فيقال: أنظِروا ـ أي: أخِّروا ـ هذين حتى يصطلحا، أنظِروا هذين حتى يصطلحا».

قال المنذري: ورواه الطبراني ولفظه: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «تنسخ دواوين أهل الأرض في دواوين أهل السماء، في كل اثنين وخميس، فيغفر لكل مسلم لا يشرك بالله شيئاً، إلاَّ رجلاً بينه وبين أخيه شحناء».

قال أبو داود: إذا كانت الهجرة لله تعالى فليس من هذا بشيء. اهـ

قال العلماء: هَجْر الفاسق إذا كان يَرده عن فسقه فهو مطلوب، وإذا كان هجره يزيده تمرُّداً ومنكراً: فيواصله بقصد مناصحته وإصلاحه.

٣ ـ عن جابر رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «تعرض الأعمال يوم الإثنين والخميس: فَمِنْ مُستغفر فيُغفر له، ومن تائب فيُتاب عليه، وتُردُّ أهل الضغائن ـ أي: الأحقاد ـ بضغائنهم حتى يتوبوا».

قال المنذري: رواه الطبراني في (الأوسط) ورواته ثقات. اهـ

٤ ـ روى الإمام أحمد عن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «يطّلِعُ الله عز وجلّ إلى خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لعباده إلا اثنين: مشاحن وقاتل نفس».

وعن مكحول، عن أبي ثعلبة رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يطَّلع الله تعالى إلى عباده ليلة النصف من شعبان، فيغفر للمؤمنين ويمهل الكافرين، ويَدَع ـ أي: يترك ـ أهل الحقد بحقدهم حتى يَدَعُوْهُ» ـ أي: يتركوه ـ قال المنذري: رواه الطبراني والبيهقي.

وعن مكحول، عن كثير بن مُرة، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «في ليلة النصف من شعبان: يغفر الله عز وجل لأهل الأرض ـ أي: من المسلمين ـ إلا لمشرك أو مشاحن».

قال المنذري: رواه البيهقي وقال: مرسل جيد.

وعن معاذ بن جبل رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «يطَّلع الله تعالى إلى جميع خلقه ليلة النصف من شعبان، فيغفر لجميع خلقه إلا لمشرك أو مشاحن».

قال الحافظ المنذري: رواه الطبراني في (الأوسط)، وابن حبان في (صحيحه) والبيهقي، ورواه ابن ماجه بلفظه من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه، والبزار والبيهقي من حديث أبي بكر الصديق رضي الله عنه بنحوه بإسنادٍ لا بأس به. اهـ

وروى البيهقي من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «أتاني

جبريل عليه السلام فقال: هذه ليلة النصف من شعبان، ولله فيها عتقاء من النار بعدد شعور غنم بني كلب ـ اسم قبيلة كبيرة ـ ولا ينظر الله تعالى فيها إلى: مشرك، ولا إلى مشاحن، ولا إلى قاطع رحم، ولا إلى مُسبل إزاره، ولا إلى عاقٍّ لوالديه، ولا إلى مدمِنِ خمر» ـ الحديث كما في (ترغيب) المنذري.

وروى البيهقي من حديث أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، أنَّ النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال لها: «أتدرين أيَّ ليلةٍ هذه»؟

قلت: الله ورسوله أعلم.

قال: «هذه ليلة النصف من شعبان، إنَّ الله عز وجلَّ يطَّلع على عباده في ليلة النصف من شعبان: فيغفر للمستغفرين، ويرحم المسترحمين، ويُؤخر أهل الحقد كما هم» كما في (ترغيب) المنذري.

فالإيمان يوجب على المؤمنين أن يكون بينهم الولاء والمحبة، والنصح والمودّة، كما وصفهم الله تعالى بقوله: ﴿وَٱلۡمُؤۡمِنُونَ وَٱلۡمُؤۡمِنَٰتُ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ يَأۡمُرُونَ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَيَنۡهَوۡنَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ﴾ ـ أي: هم في ذلك متناصحون ـ ﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُونَ ٱلزَّكَوٰةَ وَيُطِيعُونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓۚ أُوْلَٰٓئِكَ سَيَرۡحَمُهُمُ ٱللَّهُۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ﴾.

فإذا كانوا بهذه الصفات، فهم الذين تكفَّل الله تعالى برحمتهم في جميع العوالم.

اللهم اجعلنا منهم بجاه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

فاتَّعظوا أيها الأخوة المؤمنون والمؤمنات بآيات الله تعالى،

وبأحاديث رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم التي تقدمت وغيرها، فكونوا متحابِّين متوادِّين، متناصحين في الله تعالى، غير متباغضين، ولا حاقدين، ولا حاسدين، ليس في القلوب غلٌّ ولا ضغينة، ولا غشٌّ ولا خديعة، ولا طوية سيئة، ولا مكر، فلا يكفي صلاح القوالب بل لا بُدَّ من صلاح القلوب، ولا يكفي صلاح الظواهر بل لا بدَّ من صلاح السرائر، وتذكروا قول النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

«إن الله تعالى لا ينظر إلى صُورِكم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم ـ وفي رواية: «لا ينظر إلى صوركم وأموالكم» ـ التقوى ههنا، التقوى ههنا التقوى ههنا» ـ ويشير إلى صدره الشريف ثلاث مرات ـ أي: عليكم بتقوى القلوب، والأعمال والأقوال والأحوال، فالإيمان يشمل هذا كله، ويوجب هذا كله، وسوف يُسأل المؤمن ويحاسَب على هذا كله، فلا تتخذوا آيات الله تعالى هزواً، فإنَّ الأمر جدٌّ.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُۥ لَقَوۡلٞ فَصۡلٞ ﴿١٣﴾ وَمَا هُوَ بِٱلۡهَزۡلِ ﴿١٤﴾﴾.

وليحذر المؤمن مما حذَّر منه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فيخاف من تلك العقوبات الواردة في الشحناء والبغضاء، وغلِّ القلوب، وغيرها من الآفات والذنوب، فإنَّ كلام سيدنا رسول الله صلى الله علية وعلى آله وسلم هو الحكمة النازلة من عند الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمۡ تَكُن تَعۡلَمُۚ وَكَانَ فَضۡلُ ٱللَّهِ عَلَيۡكَ عَظِيمٗا﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴾.

وقال تعالى: ﴿ وَلَا تَتَّخِذُوٓا۟ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ هُزُوًا ۚ وَٱذْكُرُوا۟ نِعْمَتَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ وَمَآ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ وَٱلْحِكْمَةِ يَعِظُكُم بِهِۦ ۚ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾.

فالجدَّ الجدَّ، والعمل العمل بما قاله الله تعالى، وبما قاله رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وتذكر أيها الإنسان موقف السؤال، حين يَسألك الله عز وجل عما عملت بما جاء به رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وبما بَلَّغَه، فقد جاء في (صحيح) البخاري من حديث عديٍّ بن حاتم رضي الله عنه، وفيه: أنّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «ولَيَلقيَنَّ اللهَ أحدُكم يوم يلقاه ليس بينه وبينه حجاب ولا ترجمان يترجم له؛ فليقولنَّ سبحانه: أَلَمْ أَبْعث إليك رسولاً فبلّغك؟

فيقول العبد: بلى».

أي: فماذا عملتَ بما جاءك به النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم؟.

قال الله تعالى: ﴿ فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦ فَلَنَقُصَّنَّ عَلَيْهِم بِعِلْمٍ ۖ وَمَا كُنَّا غَآئِبِينَ ﴾.

أي: بل هو الشاهد الرقيب على عباده، العليم الخبير بما كانوا يعملون:

قال تعالى: ﴿ ٱعْمَلُوا۟ مَا شِئْتُمْ ۖ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴾.

أي: فاستحيوا من الله تعالى، واحذروا من أن يراكم حيث نهاكم.

وقد أوصى بعض المشايخ لمريده، فقال له: يا بني إذا أردتَ أن تعصِيَ الله تعالى فاعصه حيث لا يراك. اهـ

أي: لا تعصه لأنَّه يَراك حيث كنت جل وعلا.

روى الطبراني وأبو نعيم، عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم أنه قال: «أفضل الإيمان أن تعلم أنَّ الله معك حيثما كنت» كما في (الفتح الكبير).

وقال الله تعالى: ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴾.

أي: هو سبحانه يرى كل شيء؛ ولا يغيب عنه شيء.

روى مسلم وغيره، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال أبو جهل: هل يعفر محمد وجهه بين أظهركم - أي: هل يسجد لله تعالى؟.

قالوا: نعم.

قال: واللات والعزى لئن رأيْتُهُ يفعل ذلك، لأطأن على رقبته، أو لأعفرنَّ وجهه في التراب.

ثم إنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يصلي - ليطأ على رقبته قال: فما فجأهم منه إلاّ وهو ينكص - أي: يرجع - على عقبيه، ويتقي بيديه.

فقيل له: مالك؟

فقال أبو جهل: إنّ بيني وبينه لخندقاً من نار، وهولاً وأجنحة.

فقال النبي صلى الله عليه وسلم: «لو دنا مني لاختطفته الملائكة: عضواً عضواً».

قال الله تعالى: ﴿ كَلَّآ إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ لَيَطْغَىٰٓ ﴿٦﴾ أَن رَّءَاهُ ٱسْتَغْنَىٰٓ ﴿٧﴾ إِنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلرُّجْعَىٰٓ ﴿٨﴾ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰٓ ﴿١٠﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَانَ عَلَى ٱلْهُدَىٰٓ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِٱلتَّقْوَىٰٓ ﴿١٢﴾ أَرَءَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰٓ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾ كَلَّا لَئِن لَّمْ يَنتَهِ لَنَسْفَعًۢا بِٱلنَّاصِيَةِ ﴿١٥﴾ نَاصِيَةٍ كَٰذِبَةٍ خَاطِئَةٍ ﴿١٦﴾ فَلْيَدْعُ نَادِيَهُۥ ﴿١٧﴾ سَنَدْعُ ٱلزَّبَانِيَةَ ﴿١٨﴾ كَلَّا لَا تُطِعْهُ وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ ﴿١٩﴾ ﴾.

وقوله تعالى: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

في هذا دليل على أنَّ مغفرة الذنوب، وإبعاد الغلِّ عن القلوب هما أمران عظيمان كبيران، يجب على المسلم أن يَلجأ إلى الله تعالى الذي هو ربه: خالقه ومصوِّره، ومدبر أمره بعلمه سبحانه وحكمته، ومربيه بآلائه ونعمته التي لا تحصى، وأنْ يسأل الله تعالى متوسلاً إليه برأفته سبحانه ورحمته: أَنْ يغفر الذنوب، ويُبعد الغِلّ عن القلوب، فإنَّ من سأل الله تعالى ذلك أعطاه الله تعالى ما هنالك، لأنَّه رؤوف رحيم.

والرأفة هي: دفع المكاره والمضارّ.

وأما الرحمة فهي: إيصال الخيرات والمنافع والمبرات.

فواظب على هذا الدعاء الذي علمه الله تعالى لعباده المؤمنين، وهو: ﴿ رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾.

وواظب على الدعاء الذي علمه رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم لأمته، وهو ما رواه أبو داود عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: كان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يعلمنا هذه الدعوات كما يعلمنا التشهد:

«اللهم ألِّف بين قلوبنا، وأصلح ذات بيننا، واهدنا سبل السلام، ونَجِّنَا من الظلمات إلى النور، وجَنِّبْنَا الفواحش ما ظهر منها وما بطن، وبارك لنا في أسماعنا، وأبصارنا، وقلوبنا، وأزواجنا، وذرياتنا، وتُبْ علينا إنَّكَ أَنْتَ التَّوَّابُ الرحيم، واجْعلنا شَاكِرِيْن لِنِعْمَتِك، مثنين بها، قابليها، وأتمها علينا».

كذا في (التيسير) ورواه في (الجامع الصغير) عن الطبراني والحاكم بلفظ: «قابلين لها» ويَحْسُن الإكثار من هذا الدعاء وراء الصلوات وسائر الأوقات.

العلامة السابعة:

الدالة على صدق محبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم هي: الإكثار من الصلاة والسلام عليه، صلى الله تعالى عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً.

ينبغي للمؤمن أنْ يُكثر من الصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقد كان صلى الله عليه وعلى آله وسلم يأمر بالإكثار من الصلاة عليه في جميع الأوقات، ويُرغِّبُ في ذلك، ويُبيِّنُ الفضل الكبير المترتب على ذلك، خاصة في يوم الجمعة وفي ليلتها:

روى الترمذي وابن حبان في (صحيحه) عن ابن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنَّ

أولى الناس بي يوم القيامة أكثرهم عليَّ صلاة».

أي: أحقُّ الناس بشفاعته وبكرامته لهم يوم القيامة؛ أكثرهم عليه صلاة ـ صلى الله عليه وآله وسلم.

وعن عامر بن ربيعة عن أبيه رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم يخطب ويقول: «من صلى عليَّ، صلاة لم تزل الملائكة تُصلي عليه ما صلَّ عليَّ، فليقلَّ عبد من ذلك أو ليكثر».

رواه أحمد، وابن أبي شيبة، وابن ماجه كما في (الترغيب).

وعن أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «من سَرَّه أن يلقى الله تعالى راضياً فليكثر الصلاة عليّ»[١].

وعن أنس رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ثلاثة تحت ظلِّ عرش الله يوم القيامة، يوم لا ظل إلا ظله».

قيل: مَنْ هم يا رسول الله؟

قال: «من فرَّج عن مكروب من أمتي، وأحييٰ سنتي، وأكثر الصلاة عليَّ» صلى الله عليه وعلى آله وسلم كثيراً كثيراً كثيراً.[٢]

---

(١) قال في (القول البديع): أخرجه الديلمي، وابن عدي في (الكامل)، وأبو سعيد في (شرف المصطفى صلى الله عليه وعلى آله وسلم) وسنده ضعيف. اهـ.

(٢) رواه الديلمي عن أنس رضي الله عنه، والخلعي في (فوائده) عن أبي هريرة رضي الله عنه كما في: (القول البديع) و(شرح الموطأ) وغيرهما.

فكثرة الصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم فيها خير كثير، وهي دليل صادق على محبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من صلَّى عليَّ عشراً صلى الله تعالى عليه مائة، ومَن صلَّى عليَّ مائة صلى الله تعالى عليه ألفاً، ومن زاد صبابةً وشوقاً: كنت له شفيعاً وشهيداً يوم القيامة».

قال الحافظ السخاوي: أخرجه أبو موسى المديني بسندٍ قال الشيخ مغلطاي لا بأس به. اهـ

فعلى المؤمن أن يُكثر من الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ما استطاع، فإنَّ فيها خيراً كبيراً، وتزيد في محبة النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

وقد ورد في فضل الإكثار من الصلاة عليه صلى الله عليه وعلى آله وسلم يوم الجمعة وليلتها عِدَّة من الأحاديث الشريفة ـ أذكر بعضاً منها:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «أكثروا الصلاة عليَّ في الليلة الغرَّاء، واليوم الأزهر، فإنَّ صلاتكم تعرض عَلَيَّ»(١).

وعن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خُلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا عليَّ من الصلاة

---

(١) عزاه في: (الجامع الصغير) للبيهقي وابن عدي وغيرهما، وقال المناوي: ورواه الطبراني في (الأوسط). اهـ.

فيه، فإنَّ صلاتكم معروضة عليّ».

قالوا: يا رسول الله: وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أَرَمْت ـ أي: بليت، أي: بعد الموت ـ.

فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنَّ الله عز وجل حرَّم على الأرض أنْ تأكل أجساد الأنبياء».

قال المنذري: رواه أحمد، وأبو داود وابن ماجه، وابن حبان في (صحيحه) والحاكم وصححه.

وقال: أَرَمْت بفتح الهمزة والراء وسكون الميم، وروي بضم الهمزة وكسر الراء. اهـ

وعن أبي الدرداء رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «أكثروا من الصلاة عَليَّ يوم الجمعة، فإنَّه مشهود تشهده الملائكة، وإنّ أحداً لن يصلي علي إلاَّ عُرضت عليَّ صلاته حتى يفرغ منها».

قال: قلت: يا رسول الله وبعد الموت؟

قال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنَّ الله تعالى حرم على الأرض أنْ تأكل أجساد الأنبياء».

على إمامهم وأفضلهم وعليهم أجمعين أزكى الصلاة وأتم التسليم.

رواه ابن ماجه بإسناد جيد ـ كما في (الترغيب).

وقد ذكرت في كتاب (فضل الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم) عدةً من الأحاديث الشريفة على وجه التفصيل، فارجع إليه ينفعك الله تعالى بها ـ آمين.

التذكير بالصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم في أوقات قد يغفل عنها بعض الناس:

الأول: لا تغفل أيها المسلم عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم حين تذكره، أو يُذكر عندك صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فقد جاء التحذير الشديد من ذلك في كثير من الأحاديث الشريفة أذكر بعضاً منها:

روى الترمذي وحَسَّنَه عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «رغم أنف رجل ذُكرتُ عنده فلم يُصلِّ عليَّ ـ صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ ورغم أنف رجل دخل عليه رمضان ثم انسلخ قبل أن يغفر له، ورغم أنف رجل أدرك عنده أبواه الكبر فلم يُدخلاه الجنة».

أي: لتقصيره في حقهما.

ومعنى: رغم: بكسر الغين ـ أي: لصق بالرغام، وهو التراب ذُلاً وهواناً.

وقال ابن الأعرابي: هو بفتح الغين، ومعناه ذَلّ كما في (الترهيب) للمنذري.

وعن أبي هريرة رضي الله عنه، أَنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم صعد المنبر فقال: «آمين، آمين، آمين».

فقيل: يا رسول الله: صعدتَ المنبر فقلت: آمين، آمين، آمين.

فقال صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «إنَّ جبريل عليه السلام أتاني فقال: من أدرك شهر رمضان فلم يُغفر له، فدخل النار،

فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين.

ومن أدرك أبويه أو أحدهما فلم يبرّهما، فمات فدخل النار، فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين.

ومن ذُكرتَ عنده فلم يُصلِّ عليك فمات فدخل النار، فأبعده الله قل: آمين، فقلت: آمين».

صلى الله تعالى وسلم عليه وعلى آله كلَّما ذكر الله تعالى ورسوله الذاكرون، وكلما غفل عن ذكر الله تعالى ورسوله الغافلون، وفي كل لمحة ونفس عدد ما وسعه علم الله تعالى العظيم.

قال الحافظ المنذري: رواه ابن خزيمة، وابن حبان في (صحيحه) واللفظ له. اهـ

وفي رواية الحاكم بإسناد صحيح: «قال جبريل عليه السلام: بعُدَ من ذكرتَ عنده فلم يصلِّ عليك، فقلت: آمين».

وفي رواية الطبراني عن ابن عباس رضي الله عنهما، أَنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «جاءني جبريل عليه السلام فقال: إنَّه من ذُكرتَ عنده فلم يصلِّ عليكَ فأبعده الله تعالى وأسحقه ـ أي: رماه في النار ـ قلت: آمين».

الثاني: التحذير والترهيب من أنْ يجلس الإنسان مجلساً: لا يذكر الله تعالى فيه، ولا يصلي على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

فعن أبي هريرة رضي الله عنه، عن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «ما جلس قوم مجلساً لم يذكروا الله تعالى فيه، ولم يصلوا على نبيهم؛ إلا كان عليهم تِرَة، فإن شاء عَذَّبهم وإنْ شاء غفر لهم».

وهذا يدل على قبح ذنوبهم.

قال المنذري: رواه أبو داود، والترمذي واللفظ له وقال: حديث حسن.

وقال: التِّرَة: بكسر التاء المثناه فوق، وتخفيف الراء هي: النقص، وقيل: التَّبعة. اهـ

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم: «ما قعد قوم مقعداً لم يذكروا الله عز وجل فيه، ولم يُصلوا على النبي صلى الله عليه وسلم؛ إلاَّ كان عليهم حَسْرَةً يوم القيامة، وإنْ دخلوا الجنة للثواب»[1].

رواه أحمد بإسناد صحيح، وابن حبان في (صحيحه)، والحاكم وقال فيه: على شرط البخاري كما في (ترهيب) المنذري.

وروى النسائي عن جابر رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: «ما اجتمع قوم ثم تفرَّقوا عن غير ذكر الله عز وجل، وصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم؛ إلا قاموا على أنتن جيفة».

وقد أورد ذلك في (الجامع الصغير) وعزاه للطيالسي، والبيهقي، والضياء، ورمز لصحته ولكن بلفظ: «إلا قاموا على أنتن من جيفة».

الثالث: لا تغفل عن الصلاة على النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم عقب الأذان، لأنه أمر بذلك صلى الله عليه وعلى آله وسلم:

---

(١) أي: تعتريهم الحسرة قبل دخولهم الجنة، لِما يَرَوْن من عظيم ثواب الصلاة عليه صلى الله عليه وسلم.

ففي الحديث عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما، أنَّه سمع النبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: «إذا سمعتم المؤذن فقولوا مثل ما يقول، ثم صَلُّوا عليَّ، فإنَّه من صلَّى عليَّ صلاة واحدة صلى الله عليه بها عشراً، ثم سَلُوا الله لي الوسيلة، فإنَّها منزلة في الجنة ـ أي: هي أعلى منزلة في الجنة ـ لا تنبغي إلاَّ لعبد من عباد الله، وأرجو أَن أكون أنا هو، فمن سأل الله لي الوسيلة؛ حلَّتْ له الشفاعة».

رواه مسلم وأصحاب السنن كما في (الترغيب).

وعن جابر رضي الله عنه، أنّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «من قال حين يسمع النداء ـ أي: الأذان ـ اللهم ربَّ هذه الدعوة التامَّة، والصلاة القائمة آتِ محمداً [صلى الله عليه وعلى آله وسلم] الوسيلة والفضيلة، وابعثه مقاماً محموداً الذي وعدته؛ حلَّت له شفاعتي يوم القيامة» رواه البخاري، وأصحاب السنن، والبيهقي وزاد في آخره «إنّك لا تخلف الميعاد» كما في (الترغيب).

وعن جابر رضي الله عنه، أنَّ رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم قال: «مَن قال حين ينادي المنادي: اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة النافعة، صلِّ على محمد [صلى الله عليه وعلى آله وسلم]، وارضَ عني رضاً لا سخط بعده؛ استجاب الله له دعوته» رواه أحمد والطبراني في (الأوسط).

وعن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قال: «من قال حين يسمع المؤذن: وأنا أشهد أن لا إلَه إلاَّ الله وحده لا شريك له، وأنَّ محمداً عبده ورسوله،

رضيت بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد صلى الله عليه وسلم رسولاً؛ غَفر الله له ذنوبه».

أي: يقول ذلك عقب سماع الشهادتين من المؤذن.

قال الحافظ المنذري: رواه مسلم، والترمذي واللفظ له، ثم قال: وقال مسلم: «غفر له ذنبه». اهـ.

من وصايا سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وأمره للآباء:

جاء في الحديث عن أمير المؤمنين سيدنا علي رضي الله عنه، أنَّ النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «أدِّبوا أولادكم على ثلاث خصال: حبِّ نبيكم، وحبِّ أهل بيته، وقراءة القرآن[1] فإنَّ حملة القرآن في ظل الله يوم لا ظل إلا ظله، مع أنبيائه وأصفيائه»[2].

قال العلامة السَّمعاني: يجب على الآباء تعليم أولادهم: أنَّ النبي صلى الله عليه وسلم بُعث بمكة، إلى كافَّة الثقلين، ودفن بالمدينة المنورة، وأنه واجب الطاعة والمحبة. اهـ. صلى الله عليه وعلى آله وسلم ـ كما في (شرح) المناوي ـ.

فلا تُهمل أيها المسلم تلك الوصية المحمدية صلى الله عليه وعلى آله وسلم.

اللهم إنَّك أمرتنا بدعائك، ووعدتَّنا بإجابتك، فها نحن ندعوك كما أمرتنا، فاستجب لنا كما وعدتنا، إنّك لا تخلف الميعاد:

---

(١) قال العلامة المناوي: أي: تلاوته ومدارسته وحفظه. اهـ.

(٢) عزاه في (الجامع الصغير) إلى أبي نصر عبد الكريم الشيرازي في (فوائده الحديثية) وإلى (الفردوس) وابن النجار في (تاريخه).

اللهم صلِّ على سيدنا محمد الفاتح لما أُغلق، والخاتِم لما سَبَق، والمعلن الحقَّ بالحق، والهادي إلى صراطك المستقيم، حَقَّ قَدْره ومقداره العظيم، في كل لمحة ونفسٍ عدد ما وسعه علم الله العظيم، وعلى آله وصحبه، وسلم تسليماً، وعلينا معهم أجمعين.

اللهم إنا نسألك إيماناً لا يرتدُّ، ونعيماً لا يَنفد، وقُرَّة عين لا تنقطع، ومرافقة نبيك سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم في جميع العوالم، وفي أعلى الجنَّةِ جَنة الخلد.

اللهم اهدنا مِن عندك. اللهم إنَّا نَسألكَ مِمَّا عندك.

اللهم أفِضْ علينا من فضلك. اللهم انشُر عَلَينا مِنْ رحمتك.

اللهم أَنْزِل علينا من بركاتك. اللهم ألبسنا أثواب عافِيَتك.

اللهم بَلِّغنا برحمتك الذي نَرجُوه من رحمتك.

اللهم اجعل لنا من لَدُنْك وُدّاً.

اللهم اجعل لنا من لدنك وَليّاً.

اللهم اجعل لنا عندك عهداً.

اللهم اجعل لنا من لدنك سُلطاناً نصيراً.

اللهم يا مَن لا يردُّ سائِلَه، ولا يُخيِّب آمله، سألناك متوسلين إليك بخير مَنْ مَدَّ يديه إليك صلى الله عليه وعلى وآله وسلم ـ فاستجب دعانا، وحقِّقْ لنا رجاءنا.

اللهم بَلغنا عن سيدنا رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم أنه قال: «إنَّ ربَّكم حَيِيٌّ كريم، يَسْتَحيي من عبده إذا رفع يَديه إليه أَنْ يَردَّهُما صِفْراً».

اللهم إنَّا رَفَعنا أيدينا إليك بالذُّلِّ والافتقار، فأعطنا من عطاياك الغِزار، يا عزيز يا غفار.

اغفر اللهم لنا وارحمنا، ولوالدينا، ولمشايخنا، ولكل من له حق علينا، ولإخواننا، ولجميع المؤمنين والمؤمنات، والمسلمين والمسلمات، الأحياء منهم والأموات، برحمتك يا أرحم الراحمين، ومغفرتك يا خير الغافرين.

اللهم صلِّ وسلِّم وبارك، وترحَّم، وتحَنَّن، على سيد خلقك، وأحبِّهم إلى جنابك، وأكرمهم عليك، وأقربهم إليك، إمام الأنبياء والمرسلين، وحبيبك الأكرم، ونَبِيِّك المعظَّم، ورسولك الأفضل، شفيع المذنبين، ورحمة الله تعالى المهداة للعالمين، سيدنا وشفيعنا، وحبيب قلوبنا، وروح أرواحنا، وقُرَّة أعيننا، سيدنا محمد صلى الله عليه وعلى آله وسلم، وعلى جميع إخوانه النبيين والمرسلين، وعلى آله وأزواجه، وذريَّته، وأهل بيته، وأصحابه، ومحبِّيْه، والتابعين لهم إلى يوم الدِّين، وعلينا معهم أجمعين؛ برحمتك يا أرحم الراحمين، في كل لمحة ونفسٍ، عدد ما وسعه علم الله تعالى العظيم.

☆ ☆ ☆

تمَّ هذا الكتاب، بتوفيق الله تعالى وفضله: في السابع والعشرين من شهر رجب لعام ١٤١٦ هـ. ستة عشرة وأربعمائة وألف.

والحمد لله رب العالمين

الذي بنعمته تتم الصالحات

❊ ❊ ❊

المحتوى

وصلى الله على سيدنا محمد كلما ذكره الذاكرون، وغفل عن ذكره الغافلون، صلاة وسلاماً دائمين بدوام ملك الله العظيم، حق قدره ومقداره العظيم، والحمد لله رب العالمين.

كتب للمؤلف

- حول تفسير سورة الفاتحة ـ أم القرآن الكريم.
- حول تفسير سورة الحجرات.
- حول تفسير سورة قٓ.
- حول تفسير سورة الكوثر.
- حول تفسير سورة الإخلاص والمعوذتين بعدها.
- هدي القرآن الكريم إلى الحجة والبرهان.
- هدي القرآن الكريم إلى معرفة العوالم والتفكر في الأكوان.
- تلاوة القرآن المجيد.
- شهادة أن لا إله إلا الله سيدنا محمد رسول الله ﷺ.
- سيدنا محمد ﷺ : شمائله الحميدة ـ خصاله المجيدة.
- التقرب إلى الله تعالى: فضله ـ طريقه ـ مراتبه.
- الصلاة في الإسلام.
- الصلاة على النبي ﷺ.
- صعود الأقوال ورفع الأعمال إلى الكبير المتعال ذي العزة والجلال.
- الدعاء: فضائله ـ آدابه ـ ما ورد في المناسبات ومختلف الأوقات.
- الإيمان بعوالم الآخرة ومواقفها.
- الإيمان بالملائكة عليهم السلام ـ ومعه بحث مختصر حول عالم الجن.
- شرح المنظومة البيقونية في مصطلح الحديث الشريف.
- أدعية الصباح والمساء.

وكلها تطلب من مكتبة دار الفلاح

حلب ـ أقيول هاتف ٦٢٣٧٥٧ ـ ٦٣٩٣٠٠